وقلت بكبلك...

ملاحظة:
إن هذه الكتابات تعكس وجهة نظر كاتبيها فقط ولا تعبّر بالضرورة عن آراء اللجنة الدوليّة للصليب الأحمر.

المحتويات

المقدّمة ٥

الآباء و الأمّهات ٧

الأبناء و البنات ٢١

الزوجات ٣٥

الإخوة ٤٣

الأقرباء ٧١

مقدمة

في سياق عملنا مع أسر وعائلات المفقودين، شاركت أكثر من ٩٠٠ عائلة قصّتها وتجربتها مع اللجنة الدوليّة للصليب الأحمر، عبّرت من خلالها عن أعمق مشاعرها وآمالها.

بعد عقود من العيش مع فراغ عقيم خلّفه فقدان الأحبّاء، لا تزال هذه العائلات تتخبّط بخضمّ مشاعر وقصص غير محكيّة. من هذه الأقاصيص، نبعت فكرة إعطاء العائلات وسيلة للتعبير عمّا يختلج صدرها وما تريد قوله لأحبّائها الذين غيّبهم الفقدان. وقد نتجت عن هذه اللفتة الرمزية كوكبة من الكتابات تقارب المئة، موزّعة بين النثر والشعر، جُمعت في هذا الكتيّب. وهي تصوّر مجموعة واسعة من المشاعر، تترنّح بين آلام دفينة وحنين لهوف يعتصرون القلب يوميّاً، لم تطفأ نارهم رغم مرور الزمن.

كجزء من ولايتها وتفويضها، تلتزم اللجنة الدوليّة التزاماً كاملاً قضيّة المفقودين وعائلاتهم وتدعم سعي هذه الأسر في الكشف عن مصير أحبّائها. إبتداءً من نيسان ٢٠١٢، تجمع اللجنة الدوليّة للصليب الأحمر من العائلات معلومات شاملة عن الأشخاص المفقودين وعن ظروف اختفائهم، وذلك في كافة المناطق اللبنانيّة. في المستقبل، سيتّم تسليم هذه المعلومات الى آليّة وطنيّة تُنشأ لاحقاً تكون مسؤولة عن توفير إجابات لعائلات الأشخاص المفقودين.

تهدف اللجنة الدوليّة للصليب الأحمر من خلال نشر هذا الكتيّب إلى تذكير الشعب اللبناني بهذه العائلات ومعاناتها الدائمة والمستمرّة حتى اليوم، رغم مرور عقود من الزمن على انتهاء الحرب اللبنانيّة.

نتوجّه بكامل شكرنا للأسر التي قبلت طوعاً أن تغني هذا الكتيّب من خلال مشاركتها الكتابيّة، كما نشكر كلّ العائلات التي قابلناها على الثقة التي منحتنا إياها وصبرها اللامحدود.

فابريزيو كاربوني
رئيس بعثة اللجنة الدوليّة للصليب الأحمر في لبنان

PREFACE

In the course of our work with the relatives of the Missing, more than 900 families have shared their stories with the ICRC and communicated their innermost hopes and feelings.

After several decades of living with the void left by their loved ones, these families have a lot to tell. From these conversations stemmed the idea to provide the families with a way to express what they would like to say to their beloved disappeared family member. This symbolic gesture resulted in around 100 writings compiled in this booklet, some in prose and others in poems, which portray the wide range of feelings, the deep pain and poignant longing endured on a daily basis, which has not subsided with the passing of time.

As part of its mandate, the ICRC is fully committed to the Missing and their families and supports their quest to discover the fate of their loved ones. Since April 2012, the ICRC has been collecting all information on the missing persons and the circumstances of their disappearance from their families all over Lebanon. This information will be handed over to a future national mechanism, responsible for providing answers to the families.

Through the publication of this booklet, the ICRC reminds the Lebanese people of the constant suffering of these families which continues until today, decades after the end of the hostilities.

We would like to thank the families who accepted to write for this publication and all the families we have met for their trust and patience.

Fabrizio Carboni
Head of delegation
ICRC Lebanon

الآباء والأمّهات

دقّ الجرس

دقّ جرس الباب
قلبي من فَرْحتو رِجِفْ
عمري عَ لَوعتو وِقِفْ
نَشَّفْتْ دمعي وْعِيتْ
من خَدَرِ النطرة
دمّي ولِعْ ونْسيتْ
أشواك الحسرة
ابني رجِع
وبْرَجْعتو رح ينكسر
كاس العذاب

***

دقّ جرس الباب
بْلَمْح البصر
كَرِّتْ ببالي
سبْحة صُوَرْ
بْشَوقي جَمَعْتا
عَنَّك رَسَمْتا
بْريشة خيالي
كل يوم بيوم
من عمرك المخطوف

وكل هَمّ بْهَمّ
بِقَلبي انْحَفَرْ
يمكن أنا رح شوف
ابني اللي رجع
وبْرَجْعتو رح ينكشف
لُغْز الغياب

***

فتَحْتْ كلّ الباب
شَرَّعتو عالمَيْلْتَين
تا وَسِّع المدى
آخُد بحُضْني
حُضْنَكْ يا ابني
إنسى اللي كان
وبَوِّسُن هالعَيْنتَين...
لكن كمان
ما لْقيت فيه حدا
عالباب قدّامي...
عْيوني الما عم بِتْشوف؟
يمّا الجرس ما دقّ
إلا بأوهامي؟
وأوهام متلي ألوف

عِلْقوا بِهالقصة
ما بيعرفوا شو صار
بِاللي اختفى واللي انخطَفْ
عاشوا مع الغصّة
عم يسألوا عالحق
عا قيمة الإنسان
قَلْبُن بِصِدْرُن طَقّ
وما سِمْعوا جواب

***

وبغَفْلِة الزمان
دقّ جرس الباب
دقّة ما إلها صوت
سْمعْتا بروحي
دقّة كإنّا الموت
جايي لَينْهي العمر
اللي انسرق مني
ضاعت سْنينو هَدْرْ
وما رِجِعْ ابني

***

فات طَيْف الموت
قبل ما لاقي دَوَا
يْبَلْسِم جْروحي
يْردّ لَضْلوعي الهوا
يْصَلّحْلي معنى الحياة
يا موت...
إنْتَ لَعنْدي سْبَقْتو؟
وْهُوّي مِنْ بَعْدَكْ جايي؟
بعد خَطْفْ سنين
يْبِطْلَعوا تْلاتين
سني وكم دَهْر
يسأل وين بيلاقي عُمْر
يْعَوّض خْسارِةْ سجين...

***

بيقولوا يا مَحْلى الموت
بعدو أرْحَم من الخطف
لكن يا ابني فَضّلْتْ
قضّي عمري بالنطرة
وْلا غَيّر بْقَدَري حَرْفْ
ومُوت وأنا مفْتكْرة
إنّك بِمَطْرَحْ
بِقُرنة منْسيّة
ناطرلتفْرَحْ
بِطَعْم الحُرّية

***

وبُكرا إذا إنتَ جيت
بعد ما انطفى قلبي
بْتِفْرَحْ بالقبر عْضامي
وبيحِلّ بْروحي السلام
وحتى إنهي كلامي
وسكّر ع كلّ الأحلام،
إذا صوب السهل مْشيتْ
تْفَتّشْ عن أثر دَرْبي
تبْقى عند غْروب الشمسْ
تْسَمّع عا شجر الحَوْر
ووْراقو اللي بْتِهْمُسْ هَمْسْ
بْتِسْمِعْ نَفْخَة من نَهْداتي
وتبْقى عند بْزوغ الفجر
تْمَشّى عا ضَفّة النهر
مَيّاتو المتل البلّوْر
راحتْ معا صوب البحر
آخر دمعة من دمعاتي

***

من نهاد، عن لسان خالتها جوزفين، والدة المفقود جوزيف
وتهديها إلى كلّ الأمّهات التي عانت مثل جوزفين

أكتب لأنني أظنك تقرأ، أنزف لأنني أظنك تتعثر، أناديك لانني أظنك تسمع، أُلوّح لك وأنا أختنق من فراقك لأنني أظنك تراني، أمد لك يدي في قمة غرقي لأني أظنك سترمي بطوق الحياة لي و أحلم بالطيران اليك لأني أظنك تنتظرني... حقاً يا أيمن اشتقت اليك.
قليلة هي أحلامي يا بني، لكن يبدو أنها جاءت في زمن بخل على عيني بمتعة رؤيتك كل يوم لتغلغل رائحتك داخل دمي ولتجري إلى قلبي الذي احترق من الاشتياق. أحتاج اليك بقدر المسافات التي خطّها بيننا البعد.

وعبرت سحائب الأمل
كالسحاب
عبرت سمائي
فتنسمت بظلك وطيفك رجائي
وصرت بك
ومعك أحلم
متناسي اليوم
يعلن التنائي
متناسي أن السحب تمضي
تاركة حلمي
لوهج الضياء
تاركةً حلمي يبكي طريحاً
يأمل بمكوث
يحلم ببقاء
وعبر السحاب
وصارت آمالي
تتدارى وقلبي تحت السماء
صارت مُقلتي تلتهم الآفاق
تبحث عن درء طلاء

فلم تلقَ سوى
هجير الصحارى
ويأس الثكالى
من اللقاء
فأنت دموع الفراق نهراً
شجناً وقهراً
لقدر العناء
شجناً وقهراً لقدر لنا
ألقى بسحقٍ من الجفاء
بعدما أحيا الدم بنا
قد جعلنا
نحيا التنائي
قد جعلني أخال ظلك
من الصلاة سيبقى وقائي
لكنه ورغم حبك
ما تركني أحيا رجائي
جعلني أراك بعد الفراق
أنت يا أيمن ... يا بُنَي
بقلبي باقي

من نهاد إلى ابنها أيمن

«مرّت سنين ولا زلت أنتظر. هو قلبي الذي يحاكي غيابهم. طوال ثلاثين عاماً، لم تجفّ دموعي يوماً. لم يهدأ الأمل، ما زال ينبض في داخلي لعودتهم، هم أولادي الأربعة عزيز، إبراهيم، منصور، وأحمد. كم اشتقت إليهم وتلوّعت حسرةً وألماً ومرارةً على غيابهم. لم أترك باباً إلا وطرقته، لم أترك يداً إلا وقبّلتها وتوسّلتها لتساعدني في الحصول ولو على معلومة صغيرة أشفي بها غليل قلبي الملتهب على فراقهم، لكن ما من مجيب. لقد افترشت الأرض سريراً لي، صيفاً وشتاءً لم أكِنّ ولم أهدأ، بحثا عن فلذات كبدي. أين هم أولادي الأربعة؟! سؤال أوجهه لشرفاء هذا العالم، فمن منكم يتصوّر أمّ خُطف أولادها الأربعة من حضنها وأمام عينيها؟ قتلوني حينها ولم يرأفوا بدموعي وتوسلاتي...»

إنها كلمات أمّ عزيز، أمّ المفقودين الأربعة، من تتصدّر شاشات التلفزة، باكية أولادها الأربعة. هي منً تتوّج صفحات الجرائد بلباسها الأسود وتلوّن بدموعها نكبة جديدة عاشتها مرّتين، مرّة عند تهجيرها من وطنها فلسطين، وثانية عندما خطفوا أولادها الأربعة... فمن يشعر بحالها ومرارتها؟

ما زالت تحتفظ بفرشاة الشعر وعلبة السجائر رغم إهترائها فقط لأنها أغراض تذكّرها بهم، و لا تسمح لأحد غيرها بفتح الباب ليلاً خوفاً من أن يكون أحد أولادها، فهي فقط تريد أن تكون أول من يستقبلهم. هو قلب الأمّ الذي لا يسكن ولا ينام، قلب أمّ عزيز المقلوع، فإذا كان هناك أي ضمير، يجب أن يتحرّك لمساعدتها لمعرفة مصير أبنائها المجهول. كفى ظلماً وحرقة وألماً ومرارةً، جدّتي تعاني الأمرّين من أمراض عديدة ومزمنة وذلك كلّه نتيجة قهرها وألمها لفراق الغاليين على قلبها... فيا ضمير العالم اهتزّ، لدموع أمّ عزيز وغيرها من الأمّهات اللواتي يجهلن مصير أبنائهنّ.

ثلاثون عاماً ولا زالت جدّتي تحيا على أمل العودة القريبة، ثلاثون عاماً لم تغف عينها و لا قلبها وهي تنظر إلى الباب علّها ترى أحد أبناءها قادماً إليها. كل التحيّة والإجلال لك يا جدّتي الغالية أطال الله بعمرك وأنعم عليك بعودة أبنائك في القريب العاجل.

من العائلة إلى عزيز، إبراهيم، منصور وأحمد

أمّ بكاءها عويل

ستنـــام في ليـــل طويـــل
وكيف أنـام من كثـر العويـل
يؤرقنـــي البكـــاء فقدْت ابنـــي
وجسمي صار كالجسد العليل
أنـا أمّ وقـد فقدْتُ ابنـــــي
بقلبٍ خـافقٍ مثل الكحيـــل
سيبقى ذكره في القلب يجري
على طول الحيـاة بـلا بديـل
فقدت حبيبنا أيـــام الحـرب
ولم أعلـم أسيـر أم بحيلـــة
وإمـا في السجون بدون ذنـب
وإمـا في البـراري كالقتيـــل
وعام الحرب أفجعنا جميعـــاً
وخمـس من الشهـر الثقيـل
ففـي آذار قـد طـار عقلـي
على ولـدي وأصبغني بنيلـة

من غضيّة إلى ابنها خالد

***

شط البحر مرقدي
والمـوج بنـــالـي دار
والحبس لِيّا فرشـة
والقيـد لِيّـا خلخـــال
يـا زارعيـن الـــورد
ازرعوا على باب الدار
وانـا حبيبـي زغيـّر
وقلبي ما بينطفيلو نار

عتاب من آمنة - أمّ أحمد - إلى ابنها أحمد

زعلانة عم حس حالي عم ختير وما عم اقدر شوف ابني...
انا مش صغيرة، أنا صار عمري أربعة وثمانين سنة، وصرلي واحد وعشرين سنة عم اتعذب كرمال ابني، بدي من الناس يللي عم توصلن هالرسالة يساعدونا نلاقي ولادنا.
نحنا على حفّة القبر صرنا، ناطرين الموت...اللّه يحنّن قلب الناس علينا ويفكروا فينا... في أمّهات ناطرين ولادهن...
أنا ما عم نام الليل...أعصابي تعبانة، بدّي بس شوف ابني بعدين االله في ياخذ أمانتو...
مع كلّ الناس يللي إجوا كتبوا عنا، عملوا مقابلات عنا، وسألوا أسئلة ...ما حدا بعد عطانا جواب...
بدّي شوف ابني، بيّو مريض....أنا بعرف إنّو موجود...يجي قبل ما موت ...
صرلنا واحد وعشرين سنة مكتّفين، شي بيبكي، وشي بيضحك...خايفين ما يطلع عقلنا منّا...
نحنا قاعدين بس هني وين؟
على اسمو سّمينا ابن خيوّ كان ناطرو يوقفلو شبين...
بطلب من كل إنسان بالعالم عندو قلب وعندو ضمير يفكّر فينا، ويساعدنا نشوف ولادنا قبل ما نموت...
أنا حزينة كثير، كان داني يعيّطلي «ماما» فقّلوا «تقبرني»، يقلّي «لأ إنت تقبريني»... بس شكلو رح انقبر بلا داني ...كلّ يوم بصلّي حتى يرجع داني...وبطلب من اللّه ما يضيّعلي عقلي...

ماري، أمّ داني...المفقود

من ماري إلى ابنها داني

يا قلبي غطّ بالدمعات وارسم
وأحلى خطوط لحباب القلب ارسم
وإذا بدكن يا يُمّى ورقة كفالة حب وارسم
لأدفع نص عمري على حسابي

يا يُمّى ضيّعت درب ولفي
وحرموني يا يُمّى طلّ على بيتكن وإلفي
صرت ضايعة بين الشمس والفيّ
ضيّعت الشروق يا يُمّى من الغيب

من حمده إلى ولديها حسن وعبد الرحيم

***

إلى ماهر،

آه وألف آه يا ماما يا ماهر، لم تترك لي عنوان وتركتني أبحث عنك وأتجوّل في كل مكان، وها أنا اليوم وجدت لنفسي مكاناً ليكون ملاذاً لي ألجأ إليه. أما حاجتي لهذا المكان فهي حاجة الحزين الموجوع الهارب. يا ولدي ماهر، لقد نقلتني من الفرح إلى الحزن، من حالة المستقبل إلى الضياع. ماهر، رفعتني إلى مستوى أمّهات الأبطال المدافعين عن الوطن، وهذا مجد مجروح أحمله بتعب.

ماهر، هل أنت في السماء أم في باطن هذه الأرض؟ وهل أنت فعلاً في هذا المكان؟ فإذا كنت مع أبطال وفي تراب مقدّس أغرقتموه بدمكم، فهو أفضل لك من كل مكان.

من مريم إلى ابنها ماهر

نداء ورجاء من أمّ ثكلى بابنها المفقود منذ ١٩٨٢، لها أمل بمن يعرف وجع قلب أمّ فقدت ابنها وهو في مقتبل العمر إذ لم يتجاوز عمره العشرين سنة عندما فُقد يوم مجزرة صبرا وشاتيلا.

لقد فاض صبري وأنا أعدّ الأيام والسنين حتى فقدت البصر وأصبحت مقعدة لا أقدر على النهوض جراء مناداتي له ولمن يعرف عنه أي شيء.

أناشد من يفيدني بأي خبر عنه، وأنا لم يعد بإمكاني الذهاب للبحث عنه بعد أن شلّني حزني.

أناشد ضميركم يا أهل الضمير. أمّ ثكلى تناشد عالم الحضارة والإنسانية. باسم كل أمّ أطلب مساعدتي لمعرفة مصير ولدي.

من خديجة إلى ابنها مصطفى

***

هو جورج، ابن الثلاثة وعشرون عاماً الذي ترك منزله صباح الجمعة ٣٠ كانون الأوّل ١٩٨٣ ليذهب إلى منطقة الضاحية بعد أن قطع وعداً على الجميع بأن يكون مشواره الأخير. بالفعل وفى بوعده وكان له ذلك.

هو من أحبّ الحياة وأعطى من دون مقابل في حين أنه لم يجد من يساعده ليعود إلى والدته واختيه، إلى من انتظروه دون أن يفقدوا الأمل، علّه يعود ويشفي غليل والدته التي لا زالت ترفض أن تعتبره شهيداً. والدته التي على الرغم من مرور السنين الطويلة بقي الأمل و الإيمان هما الركيزتين الأساسيتين في حياتها .

فأين هو اليوم؟

من ماري إلى ابنها جورج

... حلمت أن تكبر أمام ناظراي لأفرح بك فجفّ دمع عيناي

من طول الانتظار والنحيب على يوم رجوعك...

سنين مرّوا بعدك ساكن فيّ ... مشتاق إلمحك لو لحظة بعينيّ

إشتاقوا إلك العتبة وباب الدار ... وطلّة انحرمناها فيك يا... بيّ

طيفك بالبال صاير مثل تذكار ... وصدى صوتك أجمل لحن غنيّ

شفتك طفل بتتميز عن لزغار ... إلك مقام كلمة وشخصيّة

شفتك صبي في عندو إصرار ... وحلم مستقبل ورغبة قويّة

شفتك يافع راسم المشوار ... بتحب النجاح مغروم بالحريّة

شفتك عسكري مقاوم مغوار ... فادي وطن أرزته لبنانيّة

شفتك حبّوب طيّب وغيّار ... شهم وكرامة وحبّ وحنيّة

حلمت فيك يا عريس بهالديار ... وجنبك بنت أجمل حوريّة

شفتك أنا وما شفت الأقدار ... تاخدك منّا أيدي خفيّة

ما حلمت شوفك يا ابننا البار ... مخطوف لا حس عنّك ولا خبريّة

أخذوك منّا وضاعت الأسرار ... ولا ذنب إلك ولا حتّى قضيّة

ياما سهرت عم أنطر الأخبار ... ومن البكي جفّوا عيوني والميّة

واليوم بيّك صار كبير وختيار ... بيحلم ترجع قبل ساعة المنيّة

وان رجعت وكنت مِت من القهّار ... روح زور قبري وإبكي عليّ

أنا كل شي حلمت بس ولا نهار ... ما حلمت كابوس تنخطف منّي

ويللي خطفوك ما إلهن هويّة

من جميل إلى ابنه حسن

إلى ولدي الغالي طوني الذي لا أنساه ولا لحظة،

أين أنت يا ولدي، يا ابني، يا حبيب قلبي، يا حياتي؟ لماذا خطفوك يا ابني؟ لماذا حرموني رؤيتك وأنت صغير في عمر الستّ عشر سنة؟ ماذا فعلت؟ لماذا عذّبوك وضربوك وأنت لم تقدر أن تدافع عن نفسك؟ لا محامي يخلّصك ولا أمّ تشوفك، يا ريت بيعذبوني عنك، يا ريت شوفك قبل ما موت ولو لحظة يا طوني.

أمّك صارت مثل المجنونة، ما قعدت لحظة وأنا بالشوارع عم فتّش عليك. أنا عايشة على أمل أن ترجع لي وضمّك لصدري، يا ريت وشمّك يا ولدي. أنا بحلم لأن مش معقول أمّ تعيش وابنها مخطوف. وكيف أنا آكل وإنت جوعان؟ يا حبيبي يا ماما، أملي بالله وبالعذراء مريم أن أراك قريباً وأضمّك إلى قلبي قبل أن أموت.

أمّك المعذّبة التي لا تنساك ولا لحظة

من جورجيت إلى ابنها طوني

***

إلى ابني الحبيب جهاد،

لقد اشتقت إليك يا ابني الحبيب جهاد، يا كبير أولادي. قسماً يا ابني جهاد أني لم أقطع يوماً الأمل بملاقاتك، وأني أنتظر هذا اليوم الذي أراه قريباً جداً جداً. جهاد، إني أدعوك أن تصبر وأنت الذي كنت أكثر الأشخاص صبراً. اصبر يا ابني لأن الفرج أصبح قريباً بإذن الله. أكتب إليك الرسالة وأمامي إخوتك محمد وحسن وفاتن وأحمد وفادي، ولك منهم السلام.

أمّك التي تنتظرك

من سمية إلى ابنها جهاد

جامدة العينين، شاردة البصر، محدّقة في السماء البعيدة وكأنها شاشة سينما عملاقة، تتراءى أمامي مشاهد ولحظات أخذتني من عالمي إلى ماضٍ بعيدٍ لطالما اشتممتُ عبير ذكراه!

خفق قلبي آلاف الخفقات عندما علمتُ أنني أحمل في أحشائي طفلي الصغير المدلّل. مرّت أمام عيني شهور حملي به واستعدادي للقائه، علماً أن لحظة لقائه كانت صعبة فما زلتُ أسمع صوت صراخي على فرشتي وأخوتي من حولي يحاولون مساعدتي ولكن ما كان يخفّف عنّي ويريّح آلامي إلا شعوري بأنّ الموعد قد حان لأضمّه إلى صدري! وها به سعد الدين قد وُلِد مع آخر رمق من قوّتي، ها هو يبكي على صدري وهو قطعة لحم حمراء صغيرة فضممته وشممته وعاهدته أمام الله بأنّني سأربّيه بحقّ الله وأحميه وأساعده إلى أن يشتدّ عوده، وأن أحبّه إلى أن أفارق الحياة. تراءت أمامي صور طفولته وسعادتي به في أوّل يوم له في المدرسة ، يوم تخرّجه من الإبتدائيّة، فرحتي به يكبر أمام عينيّ ووعودي له عندما يبلغ سن الثامنة عشر.

ولكن ما بي لا أستطيع أن أرى ولا أن أسمع... أنا في حلم أو حقيقة! من كثرة الأصوات حولي بتُّ لا أفهم! نعم... هذا هو باب منزلي وهؤلاء هم إخوتي وجيراني، ولكن لماذا يبكون، ولماذا ينظرون إليّ هكذا؟ يقولون أن سعد الدين اختُطِف من أمام باب المنزل، ماذا يعني هذا الكلام؟ بدأت أطراف تتخشّب، عيناي تسقي خطوط وجهي بشلالات من الدموع وقلبي يخفق مئات الخفقات، شفاهي ترتعش وقواي تندحر إلى أن استجمعتُ ما بقي منها وصرختُ بكلّ ما وسعي «سعد الدين!...». صرخة قد صُعق بها الجميع! وها أنا أنتظر حتى يومنا هذا بعد أن شاب شعر رأسي وتكاثرت تجاعيد وجهي، ما زلتُ أعيش على أمل أن أضمّه إلى صدري وأن أقسم له أنّ لا ذنب لي وأنّي لم أنسَ يوماً وعدي له في يوم ولادته...

يا الله! يا الله! لم أترك وسيلة لمحاولة مسك طرف خيط فقط لأن أعرف إذا كان حيّاً أو ميتاً!

يا ربّ إجمعني به! يا ربّ إجمعني به! فلا أحد يستطيع أن يشعر ما بداخلي.

من سعاد إلى ابنها سعد الدين

من بعد طول غياب

ذابت القلوب ونشفت العروق ولم يعودوا بعد. إلى متى الصبر سيبقى وهل هنالك من أمل قبل الموت أن أراهم أو أعرف عنهم أخبارهم؟ لقد تعبت ولم أفقد الأمل. ليتهم يعودون وأروي عيناي بالنظر إليهم ويفرح قلبي بلقائهم ولو مرّة واحدة قبل أن أموت. لقد ذهب العمر ومرّت السنين ومن كثرة الهمّ نشفت الشرايين. ليتهم يعودون وأقبّلهم من كثرة الشوق إليهم، ومن بعد طول الغياب يا ليتني ألتقي ولو مرّة واحدة مع الأحباب.

من غالية – أمّ علي – إلى أولادها ناصر وحسن وجهاد

***

أنا أمّ لثلاثة أولاد فُقدوا وزوجي مفقود أيضاً.
أكتب إليكم هذه العبارات بعد أن فقدت ماجد وزوجي في المجزرة وأنقطعت أخبارهم. إبراهيم، كان ابنه عمره شهرين يوم فُقد وخليل فُقد على حاجز. مررنا بظروف صعبة وسعيت بكل ما أوتيت من قوة ودعوت الله أن يساعدني على تربية أولادي والحياة لم تخل من أولاد الحلال. نحمد الله ونشكره ونتمنى عودتهم بالسلامة لأنهم لم يقترفوا ذنباً.

من كاملة – أمّ محمد – إلى أولادها إبراهيم وماجد وخليل وزوجها صبحي

***

بسم الله الرحمن الرحيم
كتبت إليكم أشكو بعد حبكم والنار في قلبي لأجل بعدكم.
إني على العهد لا أنساكم فكيف أنساكم والقلب عندكم؟
كتبت إليكم و العبارات تجري ودمع العين ليس له انقطاع
ولست يائسة من فضل ربي عسى يكون يوم الاجتماع.
لقد كتبت إليكم يا أولادي الأحباء وأنا بانتظاركم في كل وقت
والله يجمعني بكم عن قريب إنشاءالله.

والدتكما المشتاقة إليكما

من نهله – أمّ نبيل – إلى ولديها خالد وفادي

الأبناء والبنات

سعدو...
اسمٌ يتردد كثيراً في جميع الدوائر الرّسمية.
في مدرستي، جامعتي، وعملي. اسمٌ متاخمٌ لاسمي في هويتي، موجود لكن... لفظاً لا محلاً. يسألونني عنه.
فأقول: «أبي». كلمة لا أعرف منها إلا كيفية لفظها.
يسألونني عنك يا «أبي»، فأتلعثم ولا أعرف بمَ أنطق. أأترحّم عليك أم ماذا؟! يسألونني عن شكلك، فأجيب «لم يتركوا لي سوى صورة شمسية تبيّن لي نصفك العلوي». صورة بالأبيض والأسود أشبه ببياض قلبي حين أتلفّظ اسمك وأشبه بسواده حين أشعر بمأساتي وحسرتي لفقدانك.
أسأل عنك كلّ من عاشرك وجاورك فيما مضى. أطيل معهم الحديث، علّني أتلمس منهم مزاياك، صفاتك، وأخلاقك. لكم كنت أتوق لسماع صوتك ونبرتك، لأرى حركاتك و تصرفاتك.
أقلّدك بكل ما فيكَ يا «أبي». لكم كنت أتوقُ (أنا) لأحدّث النّاس ورفقائي عن زميلي، رفيقي، وحبيبي «أبي». كما يفعلون هم. لكن...
طفلتك يا أبي كبُرت وكبر كلّ شيءٍ بعدك. إلا فرحتي، رحلت معك ولم تكبر بعد. فمتى أفرح بلقائك يا «أبي»؟

من ميسا إلى والدها سعدو

***

بسم الله الرحمن الرحيم
تحية طيبة وبعد...
إلى أبي الذي لم تره عيناي من قبل. إلى من هو بالنسبة لي الأمل الذي أنتظره طوال حياتي. لو تعرف كم أتمنى أن أغمض عيناي يوماً وأستيقظ وأراك أمامي. أتمنى لو أصل لهذا اليوم. ولكن أحب أن أقول لك أن الله موجود دائماً ولم أفقد الأمل يوماً. دائماً أشعر بأنك موجود وعلى قيد الحياة وأشعر بأنه سوف يأتي اليوم الذي ستطرق فيه بابي وتقول لي أنا هنا يا أبي...
الأمل موجود دائماً والله معك أينما كنت.

من نانسي إلى والدها خليل

يرعبني ذاك المساء، تخيفني صفحة السماء الموشّحة بالسواد، ويأسرني الخوف وراء قضبانه المظلمة وخيوطه المتكسّرة من جرّاء عناد السنين وجور الأيام.

ألجأ إلى أوتار القمر، أحدّق بثناياه، أغوص إلى أعماقه، وأعثر على شعاع ينبض بالحزن. أراقب الأفق، فأجده دامعاً، كأنه يبكي... كأنه يفتقد حبيباً غالياً وأباً عطوفاً قد ضيّعته دروب الحياة وشتّته القدر.

ما الذي جرى؟ ما الذي حوّل جمال حياتي إلى جرحٍ دفين؟

سكرت من وقع الحدث، كأنّني طُعنت بسكّينٍ ملطّخٍ برماد السنين. تحرّك الفؤاد، جفّ القلب، انحنى الجسد معبّراً عن عمق المأساة فوق كؤوس العذاب وتناثرت العبارات على شوارع خلت من العواطف، لتحفر اسماً سيظلّ صدق ذكراه يدوّي في أعماقي... هو أبي.

«أبي» يا مشعل الحقّ وقيثارة تعزفُ ألحان الفوز، أبحرت دون سفينة... رحلتَ وفي الرحيل ألم... سافرتَ وحيداً. عبرتَ دروب الظلم... كسرت مرآة الحياة وواجهت الألم بالأمل... فخطفتك رياحهم الهوجاء، العاصية المكتنفة بخطوط كافرة مضلّة.

أبي...

تسبح روحي في فضاء همٍّ محفوفٍ بالضياع وتمضي للبحث عنك... عن جوهر الحكاية، فتحطّ بعد عناء الرحيل دون وداع، ويطول الأمل على ضفاف حياتي.

ولأن الدموع والآهات باتت عاجزة عن الكلام، تسطّرت الأحزان على صفحة الزمان وتحوّلت قضبان أسرك إلى أسطورة مختزنها خيالي في ذاكرة القدر.

وسافرت من جديد في عيون الأفق، وجلست عند ضفاف محراب الانتظار، أصلّي وأناجي الخالق العظيم أن يجمعني بك لتكون قنديلاً ومناراةً تضيء معابر قلبي الذي أصبح على أعتاب الانتظار...

من ملكة إلى والدها حسين

سأروي حتّى أرتوي، فحياتي كلّها معلّقة بقلوبٍ أشبعها الحرمان قسوةً وعذاباً حتّى صارت ذابلة لا يرويها إلا الحب والحنان...

بدأت رحلتنا مع الأيام... لم نصنع أيّامنا بخاطرنا لأن القدر ظلمنا، وجعل الحبّ مُخبّأً لا يُحكى بل يبكي على شوقٍ «لأبٍ» قهره الظالمون وأبعدوه عن عائلته. عندما خطفوه في شهر أيلول سنة ١٩٨٢ كان عمري سنة وشهرين لم أعرف شيئاً ولا طعماً للحياة مع والدي لأني لم أره.

كان والدي «سائق كميون نقل خارجي» وكان آنذاك، عند اختطافه، في تلك الساعة اللئيمة، مسافراً في عمله إلى سوريا لنقل المفروشات. ومن يومها لم يعد ولم نعرف عنه أية معلومة.

انقلبت موازين أسرتنا فصارت أمّي أباً وأمّاً، تعمل وتربّي. عائلتي تتألّف من أربعة صبيان وأربعة بنات. وأنا شيراز البنت الصغيرة التي لم تعرف والدها. هكذا القدر سلب منّا أعزّ شخص.

وبعدها مضت السنون، وأمّي ما تركت مكاناً إلا وسألت فيه عن والدي، حتّى انكوى قلبها حزناً وألماً. كما عانت من الأسى لتأمين معيشة لنا. و كانت المصيبة الأعظم عند موت أخي الصغير محمد الذي كان عمره سبع سنوات وموت أخي الأوسط حين كان في الثاني والثلاثين من عمره. وسارت بنا الحياة وأمّي تصارع الهزيمة بتفوّق في تربيتنا. هي الأمّ المثاليّة والقدوة للأمّهات على الرغم من الحزن المرير الذي يعتصر قلبها الكبير. علّمتنا، حتى اعتمدنا على أنفسنا وقاومنا مصاعب الدهر. كانت تمضي الأيام ونحن نراقب كيف تجري أحوالنا، بصبرٍ وشوقٍ لرجوع والدي إلينا سالماً غانماً.

ولازال الشوق والأمل والانتظار يدقّ في قلوبنا و يلمع في أعيننا عند تذكّر أبينا. كما ننتظر نحن و أمّي على أحرّ من الجمر، معرفة مصير والدنا فإن كان حيّاً ستكون عودته سروراً كبيراً لنا ونتمنى أن يعود اليوم قبل غد.

لو أطفئوا في قلبي النار سيبقى دوماً يحترق على الأيام التي مرّت مرّة وخطفت كل لحظات الأمان مع «أبي».

لن أنسى أبي، سأظل أنتظر حتى تفرغ روحي من الحياة.

من شيراز إلى والدها أحمد

سفينتكم أعادت لنا الأمل

يعجز القلم وترتجف الأنامل عندما تبدأ بترجمة ما يختلج الصدور. فمنذ فجر الإنسانية وُجِدَت كتب لترجمة الكلمات إلى جميع اللغات، لكنها عجزت عن ترجمة مشاعر بني البشر. فكيف إذا كانت مشاعر من قلب أمّ لابنها؟ أو ولد لأبويه؟ والأكثر صعوبة إذا كانت من فتاة لم تعرف معنى دفء وحنان الأب وحمايته.

ابنة تسمع منذ صغرها أن الأب سياج البيت ورب الأسرة وحاميها، فهل يستطيع أي كان أن يترجم هذه الأحاسيس سوى من عاشها؟ فلا يشعر بالجوع إلا من حُرِم الطعام ولا الظمأ إلا من حُرِمَ من الماء.

أنا فتاة فقدت كل ما تحتاجه الطفولة من حنان. غياب الأب كشجرة اقتلعوا جذورها، فكيف تنمو فروعها؟ فإما أن تسقط متهاوية على الأرض تدوسها الأقدام أو تقطعها الأيادي الآثمة لتصنع منها وقوداً. عندما تفقد أباً تفقد هويّتك، تفقد ركيزة هامة من ركائز الحياة وتضيع البوصلة. فكل خسارة في الحياة نطلق عليها اسم خسارة ولكن الخسائر لا تتشابه، فالخسارة المادية تعوّض والخسارة الجسدية أيضا تعوّض، ولكن من جاء بك إلى الدنيا كيف يُعوّض؟

سبعة وثلاثون عاماً مرّت وأنا أحلم بغدٍ جديد يحمل الأمل حتّى ملّ الحلم منّي. سبعة وثلاثون عاماً وأنا أعِدُ نفسي بغدٍ أفضل حتّى ملّت منّي الوعود. سبعة وثلاثون خريفاً وأنا أنظر إلى البعيد علّه ينبّئني بما يعيد البسمة لأعود في اليوم التالي إلى لملمة أشلائي، فأفتح خزانة ليلي وأخبّئ نفسي فيها. ألم تعرفوا أنكم أطفأتم الشمعة التي تنير دربي؟

ألم تعرفوا بأنكم قتلتموني في اليوم ألف مرّة؟ حتّى أحلامي صادرتموها، والأعياد حزمت حقائبها وذهبت لتجد لها مكاناً بعيداً عنّي.

الأموات يُزارون في المقابر، ونحن أين نزور من نحبّ؟

من فاطمة إلى والدها أحمد

فينك ياما اشكيلك
من هيي الدنيا احكيلك
و آه قمر الليل على بابنا
غايب من بعدِ رحيلك
حزينة من بعدِ غيابك
فينك ياما أحكيلك
يـــا باه يـــا باه يـــا باه
حزينة من بعدِ رحيلك
وببكي دايماً وبقول
يـــا باه يـــا باه يـــا باه
وحشاني القعدة معاك
مش قادرة يابا أنساك
يا ريت ترجع ولقيك
وضمّك مليون ضمّة
مين غيرك حيشيل همّي
لا خالي يابا ولا عمّي
يابا قلبي ما كان نساك
وقلبي يابا فداك
وببكي وبقول
يا باه يا باه يا باه...

يا بحور عطشى وحنيّة
يا طير في الجنّة هديّة
وغيابك أثّر فيَّ
والدار من بعدك ظلمة
من بعدك ياما جرى لي
يا ريت ترجع كرمالي
وضمّك مليون ضمّة
حزانا بعدك يابا
يابا يا سرّ وجودي
بدعيلك بكل سجودي
ترجع يا ضيّ عيوني
وانساه كل لي جرى لي
الدار من بعدك خالية
برجوعك والله عليّا
بنساه كل لي جرى لي
يا ريت يتحقّق حلمي
وشوفك ياباه بعيناي
بترجع روحي وحياتي
وحقق كل أحلامي
برجوعك يا باه ليّا

من حسنة إلى والدها عبدالله وأخيها عدنان

والديّ الحبيبين،
لا تعتقدوا أني من أنصار أولئك الذين يقولون: «البعيد عن العين تنساه القلوب». بل على العكس فأنا أكتب بدمع العين وآهات السنين، وبراءة الأمس وحنين اليوم وأمل الغد. أنا المتعطش لحنين أمّي وكرم أبي، ولكم يشرّفني تاريخكم. أنتم اليوم القصيدة والعنوان والأسطورة. بكم أحيا ولأجلكم أعيش يا أغلى ما في الدنيا ويا أنبل من أعطى. لن أتخلّى عنكم لحظة، ستبقون الهدف السرّ. سأصول وأجول كل الدنيا ولن أملّ من البحث عنكم وعن حبّكم وعن وجعكم. كم لئيم الذي كان السبب في اختفائكم. وكم كان غبياً الذي أسر حريتكم. والله بدمع العين أفديكم. عودوا إلى القلب الموجوع. عودوا إلى الصخرة هناك التي تناديكم إلى الأرض الحبيبة، تعطيكم حبّاً خالصاً ماسيّاً. يا والديّ الحبيبين، أحبّكم.

من ربيع إلى والديه مهدي وإعتدال

***

بسم الله الرحمن الرحيم
اشتقت لوالدي... فتحت عيوني ولم أره ودارت الأيام. أبي مفقود يعيش في ذاكرتي. ألا يمرّ العيد على خاطفيه؟ ألا يخافون من يوم الوعيد؟ أبكي في كل مناسبة وفي كل حين ولا أجد من يمسح دمعتي ويداوي قلبي الحزين. أبي أين أنت؟ فقدناك ولم نعرف طعم الحياة. ما حال من يموت غريباً دون أن يتحسّس طعم الحياة، بحنان الوالد و ضمّة صدره الحنون؟ أيها الخاطفون عذراً، هل لكم قلوباً تخفق بالحياة؟ أم ضمائركم ماتت وأنتم أجنّة في رحم الأمّهات... لنا الله ولا حول ولا قوّة إلاّ بالله.

من إعتدال إلى والدها حسني

***

أبي الحبيب،
أتمنى أن أكون بجانبك أنا وإخوتي ولكن القدر لم يسمح بذلك. مرّ وقت طويل على فقدانك ويا ليت الله يبعث لنا بمعجزة، ويردّك إلينا وتكون معنا ومع عائلتك التي لن تنساك يوماً وتردّ لنا السعادة. أنت يا أبي الكلمة التي لم ألفظها منذ زمن بعيد ونحن على أمل أن نجدك يوماً.

من روكسانا إلى والدها صالح

بعصرنا انخضّ الزمان ومـا صفي
والظلـم هبّـت رياحـوا العاصفـي

و بكّير انقطفت عن الغصون الورود
والشوك ما خدش ايـادي القاطفي

وصارت دموع العين تخـرز الخـدود
وتنزل على شموع الطهارة وتنطفي

ويـن المحبـه تنهض وتوفي الوعـود
وين الضمير الغمّض عيونو وغفـي

وين اللطافة سيطر عليهـا الجمـود
ويـن التسـامح جـاوبنـي بالنفـي

ويـن اللياقـة بيـن أنقـاض الجـدود
ويـن المـروّة طيفهـا عنـا قفـي

وين الليونة سـافرت عبـر الحـدود
وين الأمانـة قلبهـا الليّـن خفـي

وشو قيمة الإنسان في حيز الوجـود
لما بتنجلي من فؤاد العـاطفـي...

من داني إلى والده حسيب

***

إلى الشوق ما قتل
ومن أمّ وابن إلى غالٍ في المعتقل

ينتظران الفرج من الرب بعد السهر
أخبروه هو عنّا لم ننـس المعتقـل

نحن عائلته مهما طال بنـا السـحـر
سنبقـى أوفيـاء للعهد والأمـل

آملين رب العزّة
أن يجمعنا القدر..

من سامر إلى والده شوقي

بسم الله الرحمن الرحيم

هيّا أسرعوا وافتحوا الأبواب
أعيدوا الحساب، إنهم أصحاب حقّ وليسوا قتلة
أخرجوهم دون أن تسألوهم، بيّنوا لنا مصيرهم
فمن يحقّ له أن يسأل، هو صاحب الحقّ
أخرجوهم لأشواقهم، لآمالهم، لأهلهم، لعشّاقهم
للحضور، لا للغياب... نحن بانتظاركم
مهما طال الزمان

من علي إلى والده حسن

***

بقلك يـــابيي الحرب دمّـــارة
هيـــدي الحيـــــاة وأخبـــارا
ما قدرت تهرب حتى قتلـــوك
وهالحرب ما بتعرف شو مشوارا
يمكـــن يابيي كتيـــر عذبـــوك
كويتـــك الأشـــــرار بنـــــارا
مابيحملوا رحمي حتى يرحموك
اللي بيحملـــو أفكـــــار غدّارة
هل إنت المسيح حتى يصلبوك
البشر للمسيح قبلك صلبـــوه
الله يســـامحهـــن ع أفعالـــن
بسلّم لربـــي الدنيي وأســـرارا

من ناصيف إلى والده يوسف

غابوا أحبّاء الدار

واحد وثلاثون عاماً على القهر والعذاب والظلم. حين فقدنا أبي وأخي عام ١٩٨٢ عشنا حالة عذاب ويأس ومرارة وإحباط. تشرّدنا في الشوارع حتى وصلنا إلى مدرسة المصيطبة عند غروب الشمس وكان المبنى دون نوافذ ولا أبواب. فإذ بأحد البوابين يقول لنا ادخلوا، فدخلنا حيث جلبوا لنا أوراق من الكرتون لكي ننام عليها لأن فراشهم لا يكفينا، فقد كنّا أربعة عشر شخصاً. كان معنا أبناء أخي الفقيد الغالي، البكر من أولاده يبلغ العشر سنوات من العمر وأصغرهم يبلغ السنة والنصف. كنت أنا أكبر إخوتي وكنت أنزل كل يوم إلى الشارع لأجلب لقمة العيش لأبناء أخي ولأخوتي. كنت أجلب لهم دبس البندورة والموز. وبعد ذلك بتنا نتنقل من مكان إلى آخر وخلال هذه التنقلات كنّا نعيش عند الأقارب. تفكك شمل العائلة، أصبح كل واحد في مكان فعشنا حياة مدمرة ومريرة بعد غياب أبي وأخي وفقدنا الحنين والأمان ومعنى كلمة الأبوّة. هذه الحياة مسرحية، أعجبتنا أو لم تعجبنا، فقد دفعنا الثمن. نتمنى من الله عزّ وجلّ أن يرجع لنا أبي وأخي إذا كانا أحياء. وإن كانا قد توفّيا، أتمنى بأن تكون جنة الفردوس من نصيبهما إن شاء الله.

من فاطمة إلى والدها عبدالغني وأخيها يوسف

***

أجمل ما في الأحلام أنها تنتهي حتماً برجوع أبي
وأجمل ما في اليأس أنه ينحني أمام الصبر دوماً
صبري على فراق أبي
وأجمل ما في الرجاء أنه لا ينقطع ما دام هناك في السّماء ربّاً يستجيب دوماً

من عصام إلى والده احمد

What do you do when you receive news that your father never made it to work that morning? How do you tell your mother and siblings? Where do you start looking when the checkpoints separating East and West Beirut confirm that there may have been kidnappings that day? Which doors do you knock? And who, if any, can or will help? And will those who care, dare to help?
At the time, we were told that had he been a member in a militia, then the situation would have been easier. They could have exchanged him for others!!
Every day - since his kidnapping on that Monday morning, February 3rd, 1986 - and for long and endless weeks and months we were told that he would be released that afternoon at 3:00pm. And as the daily set time came and went our excitement and hope would turn into disappointment, and with time we found ourselves sceptical of the promises and wondering if they were genuine to start with, or were they just an attempt to get the `reality` to sink in. The reality that Edward joined the long list of kidnapped people in Lebanon. Our weeks and months became years and still there was no sign of him. And to date there is no sign of him. Will he ever be released? What has become of him? Is he still alive? Will we ever know?
Oh Dad, little did we know as we waved you off to work that morning that it'll be the last that we'll see of you again for a long time - if ever again. To the world, you may be a number, but not to us. You have a name and a life that awaits! We don't understand how your kidnapping achieved anything to those who play God in the lives of others. We leave them to the One and True God! But you, Dad, are always on our minds and the memories of the little time we've had together still warm our hearts.
Dad, you and mum used to talk about your dream of growing old together… The garden, the rocking chairs… If you're still alive, dad, hold to your dreams. Your partner awaits you!

From Alia to her father Edward

في يومٍ أسود حالك بالسواد، الصراخ يعمّ المكان وها أنا أقف بين إخوتي الثمانية. نقف في ركن منعزلٍ وكأنّه زنزانة صغيرة استطاعت أن تحتوينا رغماً عنها. لا يفارقني ذلك المشهد وأنا أنظر إلى أبي وأخواتي وهم يقفون في ركنٍ آخرٍ قريبٍ منّا بالنظر والمسافة، بعيدون عنّا وكأنّهم يقفون في الجانب الآخر من العالم.

الدموع تنهمر من عيوننا بغزارة وكأنّها شلالات لو وُزِّعت على العالم لاستطاعت أن ترويه. القلوب بلغت الحناجر. ما زلتُ أذكر آخر كلمةٍ قالها أبي لأختي «لقد انتهينا، لا تحزنوا، ربّما لن نعود.» قالها والدموع تنهمر من عينيه وقد صدق قولاً كما عهدته دائماً... لم يعودوا حتّى الآن.

أعزائي الكرام، أخطّ لكم تحيّاتي وأشواقي القلبية عبر سطور لطالما عبّرت وتعبّر عن مدى حنيني الذي يرسمه القلب مع كل خفقة من خفقاته. أنتظر دائماً الذين غابوا عنّا سواء كان ذلك بإرادتهم أم لا. ولكن الأمل في لقائهم يبقى في القلوب يترجم في الأيام التي تمرّ وتمضي حتى أنها أصبحت في الآونة الأخيرة تتسارع وما عدنا نعلم متى يبدأ النهار أو كيف تشرق الشمس منذرة بقدوم يوم آخر. هذه هي حالنا على فراقكم. نأمل ونرجوا الله عزّ وجلّ أن نراكم ويردّكم إلينا أو حتى يأتي بفتات فيه رائحتكم الزكية. أحبائي، إن لم نكن نراكم فإنّ أرواحنا تهيم شوقاً بحثاً عنكم في عالم النور. مع هذا، نحن نراكم كل يوم بعواطفنا ومشاعرنا وفي أحاديثنا في الصباح والمساء. نراكم تجلسون معنا، تشاركونا أطرف الحديث. نبتسم معكم ونتشارك الأفراح والأحزان والذكريات، لا بل نراكم تخطّطون معنا لمستقبل وردي ناعم يبلسم الجراح ويطمئن القلوب التائهة.

نحن بانتظاركم، فلا تطيلوا الغياب وعودوا سريعاً إلى أحبّائكم وأعزّائكم... عودوا ولا تتأخروا.

من أحمد إلى والده محمد
ومن أسعد إلى صهره محمد وباقي أفراد العائلة المفقودين

Papa chéri,
Me voilà à trente-quatre ans mère de deux enfants.Tu me manques comme si j'avais quatre ans, à l'âge où tu as disparu, où on t'as pris de ta femme et de tes enfants. Toi qui étais père de cinq.
C'est vrai que depuis ce jour là, j'ai compris que la vie est dure et difficile. Mais écoute-moi, Père, cela m'a donné encore plus de la force et de la résistance. Père, tu sais on a trop souffert pour grandir. C'était pas du tout facile sans toi.
Toi qui nous as donné la vie puis disparu aux horizons, sans laisser derrière toi aucun indice, aucune trace où on pourrait te retrouver. Hélas nous avons grandi et chacun est parti de son côté en gardant ton nom et prénom dans chacune de nos cartes d'identité et dans une part de nos vies. On ne t'oubliera jamais. Je me demandais étant petite pourquoi on t'a enlevé? Pourquoi nous? Pourquoi ma mère? Pourquoi moi? Pourquoi ce destin nous a collé à la peau?
En grandissant, et au fur et à mesure que les jours passaient, je comprenais assez vite qu'il y avait aussi d'autres enfants ayant le même destin ou pire. C'est surtout lorsque j'ai vécu dans un orphelinat, moi et mes soeurs.
Père…Nous t'attendions toutes les fêtes. Nous nous disions que tu arriveras à l'improviste de la même manière que tu es parti. Hélas, encore une fois, c'était une utopie.
Que te dire de plus! Y a aucune rancune pour moi envers ceux qui t'ont enlevé, ni même un désir de vengeance. Bref, nous avons grandi dans un climat sain que maman, cette femme si forte, nous a assuré. Cette femme était un exemple pour moi, j'ai beaucoup appris d'elle, la patience, le pardon, l'amour du prochain et la non-vengeance. Et je me demande tous les jours comment ma mère a pu nous élever nous les cinq sans aucune aide.
Dépêche-toi, Père, de nous revenir si tu es vivant, ou que ton âme repose en paix si tu n'es plus dans cet univers.
Au nom de toutes les filles qui ont perdu leur père ou mère dans une guerre quelconque, cessez cette barbarie et arrêtez de détruire les rêves des petits.

De Rita à son père Tanios

الزوجات

ليتك تعرف
أنك حبي...
أنك فرحي...
أنك حزني...
وأنك دمعي...
ليتك تعرف..
أنك حبي
الذي لم ينته يوماً...
وأنك فرحي في بحر وجعي
ليتك تعرف
أنك دمعي
كلما اشتاقت لك روحي
ليتك تعرف...
أنك حزني
في لحظات فرحي
ليتك تعرف...
كلما طلعت الشمس

واستيقظ الصباح
أتذكرك...
كلما هبّ الريح
وأفاقت الطبيعة
أتذكرك...
كلما غطّى الثلج
قرميد البيوت
أتذكرك...
كلما طلع القمر
ونام الليل
كلما حدّثت النجوم
أتذكرك...
كلما اجتمعنا من دونك
أتذكرك...
كلما إختنقت الضحكة
وملأ الدمع عينيّ
أتذكرك....

كلما التقيت صديق
أتذكرك...
كلما رأيت ابننا
يكبر، ينجح،
أتذكرك...
كلما رأيته كم هو محبّ،
خلوق،
أتذكرك...
كلما نظرت في عينيه
أرى بريق الحياة التي
تنتظره وحزن الفراق
أرى فيهما أمل اللقاء
الذي أنتظره دائماً
كلّ شيء من حولي أنت
فأنا كلما حسبتني نسيت
أتذكرك أكثر

من ربيعة إلى زوجها طوني

المربّي – الأب أبو أسامة،
بعد مرور ثلاثين عاماً على غيابك – على اختطافك – ماذا عساي أن أقول لك؟
العائلة حُرمت من رعايتك. الأولاد كانوا صغاراً عندما سُلِخت عن المنزل وعلى مرأى أولادك و الجيران في وضح النهار.
محي الدين، هل تعلم أنه منذ اختطافك في ١٥ أيلول ١٩٨٢ لم يهنأ لنا بال وانقلبت حياة العائلة رأساً على عقب؟
هل يعلم الخاطفون الضرر والألم والحزن الذي لحق بنا جميعاً؟
محي الدين، لم نلجأ إلى الثأر والإنتقام لأنك أنت المربّي الذي تعلّم الأجيال المحبّة والتسامح والعيش المشترك.
أودّ أن أسأل هؤلاء الخاطفين ماذا سيحصل لهم ولعائلاتهم لو كان الأمر معكوساً، أي لو نحن من أقدم على خطف أحدهم وإبعاده عن عائلته...
العدالة والحقيقة لا بدّ أن تظهرا ولو بعد حين. ليعلم الخاطفون بأني لن أتعب من ملاحقة القضيّة وسيحملها الأولاد والأحفاد.
أبو أسامة، لا أدري أين أنت اليوم.
والآن، هل ما زلت تذكر وجوه أطفالك؟... هل تعرف بماذا يشعرون؟ يعيشون الحرقة لأنك لم تكن بالنسبة لهم أباً عاديّاً. كنتَ لهم المثال الأعلى.
مازن الذي كان طفلاً صغيراً أثناء عمليّة الخطف لا يتذكّر منك ومن ملامحك إلا القليل.
مازن يطلب منّي دائماً أن أحدّثه عنك لأنه يسمع من إخوته الأكبر سنّاً بعض الذكريات عن والدهم ويسمع من أصدقاء ومعارف والده كل الصفات الحسنة عن والده: «كان أباً حنوناً وصديقاً مخلصاً...»
محي الدين، مازن الطفل الصغير أصبح الآن طبيباً وجرّاح قلب وهو يعمل في الولايات المتّحدة. نتمنّى عودتك يوماً لتنعم برؤية أطفالك الذين أصبحوا كباراً، وتكحّل عينيك بالأحفاد.
محي الدين، نحن لا زلنا على قيد الحياة ولكن ما معنى الحياة إذا كانت ناقصةً من عطف الأب الحنون؟ إنكسر فينا كلّ شيء، لا نعرف معنى الفرح في المنزل. الإبتسامة غابت عن الوجوه. القلق والحزن هو خبزنا اليوميّ.

عزيزي محي الدين، هل تعلم أنني لا زلتُ أبحث عنك رغم مرور إحدى وثلاثين سنة على خطفك؟ لا زلتُ أسيرة المنزل. كرّستُ حياتي لمتابعة القضيّة.
أبو أسامة، هل تعلم بأنه صدر قانون عفو عن كل جرائم الحرب؟ لا زلنا نحن ضحايا الحرب الذين لم يشملهم السلم. من حقّنا معرفة مصير أحبّائنا، فهل علينا المطالبة بلجنة تحقيق دوليّة لكشف مصير أحبّائنا؟ هل هناك رهان على النسيان مع مرور الزمن؟ لكن الوجع والألم والظلم لا يسقطون بمرور الزمن.
عزيزي أبو أسامة، بعد مرور واحد وثلاثين عاماً على خطفك في وضح النهار من منزلك أمام أفراد عائلتك، لن أهدأ ولن أرتاح قبل معرفة الحقيقة.
أرجو أن تطمئنّ عن أولادنا فهم جميعاً بخير. سأحميهم مع الأحفاد برموش العين التي جفّت من الدمع لكثرة ما سقط منها.

من نجاة إلى زوجها محي الدين

***

إلى زوجي الحبيب جورج،
ربع قرن مضى وما زلت في البال. ربع قرن مضى وما زال بريق عينيك يملأ المكان، وما زال رنين ضحكتك يتردد في أرجاء البيت...
مرّت السنوات ثقيلة بين انتظار يطول وبين أمل يطُلّ ويختفي مع كل خبر أبيض أو همس أسود... وأنا ما زلت واقفة في ذلك البيت، أترّقب الأيام لعلك تأتي في يوم منها، فإذ بي أصبحت أحترف الحزن والانتظار...
صورك على الجدران، أتمنّى أحياناً أن تخرج ولو مرّة من الإطار المعلّق لتشاركني همّاً ما أو لتقاسمني فرحاً ما، أو لتمسح عنّي حزناً ما... لكن الصورة تبقى صورة، وأنت تبقى الرجل الذي خرج ذات صباح ولم يأتِ بعد...

من صونيا إلى زوجها جورج

شو بقول قلّي إنت، حَكّينـــي
لا زال اســمك تــاج عَجبينــي

ومهما عليّي تكاتروا الأوجاع
إن اطلّعت برسمك بيشفينـــي

بعرف على أن الدهر طمّــاع
خَطَفَك ودشّــرني إلي رهينـــي

تا دِقت منّو المــر من أنـــواع
رغم المــرارة العــم يعزّينـــي

تركت من بعدك قطيع سباع
وجودن عا جنبي عم بيحميني

من مي وسليمان إلى زوجها وأخيه ألفونس

***

مع بداية فصل نكبة فلسطين انطلقت معاناتنا ، وقد حطّت المصائب رحالها عندي وخيّمت عليّ منذ أيّام الصبا، فأخذت الأيام زوجي وشريك حياتي وخطفته على عجل، فتحوّلت حياتي إلى قصّة بؤس وحرمان.

غيابك عنّي فاجأني مرّتين: مرّةً بافتقادي إليك زوجاً تحمل اسمي وتغمرني بالحبّ والحنان وشريك حياة، معاً نتقاسم الدنيا بحلوها ومرّها مسرورَين راضيَين بما قُسم لنا، ومرّة بافتقاد أولادي لك حيث تركتهم رغماً عنك منذ نعومة أظافرهم، وخلّفت وراءك فراغاً استعصى عليّ أن أملأه. لقد حُرمت منك وأنا في أمسّ الحاجة إليك.

الحزن استوطنني ولكن ما مات الأمل... وستظلّ صورتك مرسومةً في صدري وصدور أبنائك كما هي مرسومة في صدر المنزل.

من صبحيّة إلى زوجها أحمد

***

كنت اتمنّى وجودك. ابنك ميلاد سوف يخطب قريباً وشربل أيضاً. ابنتك مارلين لديها ثلاثة أولاد حتى الآن. نتمنى أن تكون بخير وتأتي إلى المنزل ونجتمع ونفرح مع أولادنا الذين أصبحوا كباراً.

من جوهرة إلى زوجها جوزيف

وقلت بكتبلك.. بركي هالمرة بتردّ!

حبيبي عدنان،

في داخلي قصة حب... تسترجع يومياتٍ مشتركة قضيناها... فرحنا معاً، حزنّا معاً... تشاجرنا، تصالحنا... حبّنا لم ينقص يوماً، لم يبهت..

كأن لا طريق تصل إلى داخلي لتخرج أنت، ونتكرّر معاً... لأخرج أنا من حبس الذكريات... بعد أقلّ من شهر، تحّل الذكرى الوَاحدة بعد الثلاثين لغيابك، لا أدري بأي حال ستواجهها حبيبي... !!

ما أصعب انتظارك «عدنوني»... لكن، لا تقلق... لقد درّبت نفسي على اجتراح الأمل... على مداراته، الحفاظ عليه برموش العين حتى لا تشيخ روحي في غيابِك... نعم، اني ما زلت أنتظر حلول موعد اللقاء معك... سأبذل جهدي حتى «ما إكبر وضلّني صبيّة»... كما سبق وطلبت مني... هل ما زلت تذكر؟

يا غالي، الخطف لا يلغي وجودك، مرور الزمن لا يسقط جريمة، الموت لا يخفي حقيقة، الموت لا يعني النهاية، لا يختم ملفّاً...

«عدنان لم يعد لكِ وحدك... بات لنا حصّة فيه... أصبح يعنينا... لقد أدخلتِه إلى بيوتنا كما باقي المخطوفين»... !

لم أجرؤ، عند سماع هذا الكلام، على استيضاح محدّثتي ان كان ما تقوله حقيقة أم وسيلة لاقناعي بالظهور في برنامج تلفزيوني تشارك في إعداده...!؟

عدنان، تعالى نغمض عيوننا، نعود بالزمن إلى الوراء، نحلّق، نحلم بالحب والعدالة...

بعدك على بالي يا عدنان... بعدك ببالي...

معقول هالمرة تردّ... ؟

في كل الأحوال، ليتك ترسل لي تذكاراً، أضعه تحت مخدّتي، أخبئه في جارور خزانتي، أوصي بنقله إلى رفّ التاريخ بعد موتي... ليبقى، لتبقى شاهداً على صفحة يسعون إلى تمزيقها والتخّلص منها...

حبيبتك المشتاقة

من وداد إلى زوجها عدنان

الإخوة

قلِّي وينك...

قلِّي وينك...
ولو بالحلم زورني مرّة
بركي طيفك
بيحلّي عيشتي المرّة
أنا عفراقك... بكتب
بحيِّك ربيعك
عَ وراق مصفرّة
بسمح لحالي إحلم...
اتهيّأك بالليل جايي...
بالنهار جايي...
بعد سبعة وعشرين سنة غياب
تجي... إفتحلك أنا البواب
ما ماتت الآمال
ولا تهدّمت قصور الخيال
وطريق العودة
عاطول مخضرّة...
بورود... وشفاف للهّتاف
وزلغوطة
وتحملك الكتاف
يا ريت تجي وتشوف

هالحزن بشو مكشوف
عَ خبار ... وصُوَر
مّلاية الدار
جوّا وبرّا
بحبّك يا خيّي
اشتقت إندهلك
وتحملني ع كتفك
مثل لمّا كنّا زغار
تلعِّبني...
بعدني هالطفلة
اللي وقف عمرا
لمّا قالوا ضاع
دخلك يا خيّ رجاع
رجّع الضحكة
بركي يا خيّ، بركي
منرجع سوى
ولأهلنا منحكي
إنت عن أسرك وعذابك
وسوى نوقّف بكي

من ليلى إلى أخيها أنطوان

خيي زوزو،

ما بقدر أوصفلك قديش اشتقنالك. يا ترى وينك؟ شو صاير فيك؟ كيف صار شكلك، جسمك، وجهك، عيونك، إيديك؟ بعدك بهالدنيي أو انتقلت لعند ربنا؟ صار مارق واحد وثلاثين سنة من يوم اللي فقدناك، حسّيناهن كإنن دهر. بتتصور شو ممكن يحصل بواحد وثلاثين سنة؟ صار إشيا كتير. كلنا كبرنا وصار كل واحد منا عندو عيلة. البابا خَتْيَر لكن بعدو صابر عالألم اللي سببو فقدانك. والماما.... مش قادرة قول الكلمة. نطرتك كتير. صلّت كتير. بكيت كتير. سعيت كتير لتلاقيك لكن بالآخر تعب قلبا وما عاد حمل حسرتك. رحلت عن هالدني. وآخر كلمات قالتها: رح موت من دون ما شوف ابني جوزيف.

منعرفك بالصورة اللي كنت فيها من واحد وثلاثين سنة وكان عمرك سبعة عشر سنة. هلق بيكون صار عمرك سبعة وأربعين سنة. يا ترى كيف صار شكلك؟ قديش شاب شعرك؟ كيف صحتك؟ معقول يجي يوم ونشوفك؟ أو رح نرحل واحد ورا التاني من دون ما نعرف سبب غيابك؟

أنا كل يوم بفكر فيك أول ما فتّح عينيي وبقول لحالي انشاالله بيرجع زوزو اليوم. وبيمضى اليوم وبيجي غيرو إيام وسنين. بحلم اسمعك عم تدق عالباب وإستقبلك أنا وكل الأهل والقرايب. هيدي بتكون فرحة كبيرة. رح نعتني فيك، لكن ما رح نقدر نعوّضلك اللي ضاع من عمرك ولا نمحي الأذى اللي صابك ولا المعاناة اللي مرقت فيها. وبوعدك رح أعمل المستحيل حتى خلّيك تحب الحياة من جديد ويرجعلك الأمل وتلاقي هدف تعيش كرمالو بالسنين الباقية من عمرك.

بشوفك بنومي أحيان كتير إنك معنا بالبيت عم تلعّب ولادي وإنت بعدك بعمرك اللي كان من واحد وثلاثين سنة. أنا صار عندي خمس صبايا حلوين ناطرين يلاقوا خالن الغايب. اتنين منن تجوزوا والباقيين عالطريق. ولما إنت ترجع، رح نساعدك حتى ترجع تعيش حياة طبيعية وتتجوز إنت كمان. ليش لأ. يا ريت. الله كريم.

من سيلفي إلى أخيها جوزيف

وبعد ثلاثين عاماً قرّرت أن أكتب

ثلاثون عاماً من الانتظار والقهر والإنكسار... من الحزن والألم، من الحلم والأمل.
أخي الحبيب، أيها المفقود في زمن الضمائر. أيها الأسير في زمن أسر الأحرار

نفتقدك

أيها الفادي المغيّب في زمن غابت عنه شمس الحق وسطع فيه نور الباطل
وأُزهقت أرواح الكبار وأهدرت دماء الكبار

نفتقدك

نفتقدك يا غالي، ما زلنا ننتظر، أنت خلف الأسوار في غياهب السجون مُعتقل
ونحن في ربوع لبنان جميعاً معتقلون

ثلاثون عاماً مضت

ثلاثون من السنين، من الحرب، من السلام، من العزّ،
من الذلّ، من المجد، من الخنوع، من البحث عن ظروف الاختفاء،
من الدهشة حين اكتشاف الأسباب
من نصر يوم تحرير معتقلي الخيام،
من خيبة يوم تهميش خيام الأمّهات المعتصِمات

نفتقدك يا فادي

نفتقدك ونحن على يقين أن غداً لناظره لقريب
لن نكلّ ولن نملّ، وسنتابع المسير وسيبزغ فجر ينير أقبية المساجين
ربّنا، كن لنا من الناصرين فأنت نصير المستضعفين

آمين

من زينة إلى أخيها فادي

سوداء مظلمة... داكنة، يسودها الحزن والأسى... أفكار غريبة... تجول في خاطرنا... نترقّب من أناس لم تعرف قلوبهم الرحمة ولم تزرهم يوماً، ماذا نفعل؟ إلى أين نلجأ... نخاف... نخاف ولا أحد يستجيب لندائنا... شابٌ في ريعان شبابه لم يتجاوز العشرين، برفقة شباب لم نعرفهم ولم نتعرّف عليهم، حظّه السيء أنه رافقهم... جاءنا الخبر الشنيع بأنه اختفى... ذاك الشاب الوسيم النبيل، لم تنطق شفتاه بكلمة جارحة أو شتيمة، مهذّب، يحترم الجميع. تعلو الإبتسامة وجهه، خطفوه... من؟ لا نعلم... خُطف ويا لها من كلمة قاسية... هكذا وصل إلينا الخبر... كانت مؤلمة وجارحة هذه الكلمة التي وقعت علينا جميعاً كالصاعقة. دمّرتنا وحوّلت حياتنا إلى جحيم... جعلت قلب أمه يذوب حرقة على ولدها، تبكيه ليالٍ طوال... تمسح دموعها... تنتظر أي خبر يأتيها... مرّت الأيام والسنين ولم يرجع الابن المفقود... يا لخيبة أملها... توفي الوالد وقلبه محروق ورحلت الوالدة وكلها أمل أن يأتي وتقبّله وتحضنه... لكن هذا اليوم لم يأتِ.

يا أيها الظالمون... أين رحمتكم؟... أين عدلكم؟... أين ضميركم؟... ألستم آباء لأولادكم؟... أتقبلون أن يكون مصير أولادكم هكذا؟

من نايفة إلى أخيها جمال

***

في شهر أيلول من سنة ١٩٧٠ قُصفت رميش وقُتل أبي وأمي بينما كانا يقطفان التبغ. قبلنا بواقعنا الأليم، و توزّعنا على الأديرة. أصبحنا ثلاثة عشر يتيماً، اثنتان منا متزوجتان. قبلنا واستسلمنا لهذا الواقع، تعلمنا وكبرنا إلى أن فُقد أخي سمير سنة ١٩٩٦ بينما كان في مكان عمله.

ومن يومها، ونحن نعيش القهر والعذاب. لا يمرّ يوم دون أن نسأل أنفسنا إذا ما كان أخي على قيد الحياة أو ميت لا سمح الله ... أين هو؟

لذلك نناشد كل ضمائر البشرية وكل ضمير مسؤول أن يرأف بنا ويساعدنا لاسترجاع أخي.

من جانيت إلى أخيها سمير

يا شاعر الكلمــة من الموجــود جــود
غنّي قصيدة واخلق من العود عــود

ويا فريد يللي غبت عنّــا هالحيــاة
تأكّــد بقلبنــا موجــود

وساعة رحيلك تركتنــا بنوبة ثبــات
ويا حبيبي بغيبتك دبلــو الــورود

وطلاّب مدرستك مـا عملوا واجبـات
وتركوا كتاب المدرسة وعافوا العقود

واتذكر النسر اللي بأرض الظلم بـات
وبقول كلمة حق مــا بــدّا شهــود

وهالمدرســة يللــي بكــوا طلابهــا
وعالجحر بعدون ناطرينك تتعــود

يــا فريد اللي كنـت عالمنبــر خطيــب
كنت المحبة وما كنت طير الجفــا

ومـن غصنــك الزيتون لمــا نجيــب
أجمل مواقف عزّ مصدرها الوفــا

وكنت مصدر صلح بالظرف العصيب
وجفنك النعسان مــا حب الغفــى

وبقول كلمة حق من فكــري النجيــب
عندك صفاوة قلب ومحبة وضميــر

عا قد ما عندو صفا نبع الصفا

من غالب إلى أخيه فريد

***

الخريف فصل يأتي مثل كل فصل، لكنه يفرض عند موعد حضوره زماناً لمقاييس تناسب بعضه البعض ومع الرفض من جانب آخر... مثل كل أيام السنة تأتي هذه الرحلة التي لن تنتهي أبدا.

ربما كنت تكبرنا بسنين عديدة... لا يهمّ... المهم أنك كنت بيننا و تحيط بالكثير من بنات أفكارنا. لا، بل إنّك الحالم الوحيد بيننا... نعم، الإنسان الذي يحمل بين ثناياه رمزيته الإنسانية، و نزعة حرّة و فلسفة و فكر المقهور لا بد أن يكون متميزاً... لأن أحلام الكبار يا عزيزي الغالي لا يحملها سوى الكبار. عزيزي علي، كل عام وأحلامك وفكرك وقيمك فينا نار ولهب. أنت أيّها الغالي حيث أنت وأين كنت... إنّ اللحظة التي غادرتنا فيها... كتبتَ فيها يوم مولدنا.

من أمل إلى أخيها علي

صرخة وجع

أضناني الشوق إليك وأنهكني الأمل باللقاء وما مللت الانتظار، ضاعت النون وتاء القلم. لكنني لملمت أشلائي وخواطري والسطور وقررت أن أكتب لعينيك الغارقتين جزعاً، الشاخصتين وجعاً، الحائرتين بطبع البشر.

للوجنتين المتوردتين احمراراً، لكن لا أدري ما السبب: أهو الأمل الغارق في بحر التيه أم هو الخجل من طبع البشر؟ للجبين الساطع اللامع المغبرّ بأديم الأرض، للحاجبين المعقودين أسفاً على طبع البشر، للدموع المعلقة على الخدود، للمقلتين الناعستين، للشفاه الباردة، للآهات التي ضاق بها الصدى، للوجع، للجزع، سمع الرحمن أنين خلقه واهتزّ عرشه وقال لملاك الموت: أسرع، هم عبادي أشفقت عليهم وهالني ظلم البشر.

لك حبي يا ساكن اللا مرقد من غير شهود ولا حتى شاهد، من غير تسابيح، من غير ترانيم، من غير أوردة، من غير تبيان شوقي وودّي، من غير كفن، من غير عرس، من غير أن يضمّك إلى ثناياه لحدي.

ضاقت الأرض بما رحبت والسماء مطويّة والأفق عدم والمدى عدم والأمل عدم والفجر غارق في بحر الظلمات والشمس خجولة... من بعيد البعيد تبزغ بطيئة حزينة لكنها ستبزغ، فرحمة ربك وسعت كل شيء.

يا أخي أودعتك الله الذي لا تضيع ودائعه ولا تنفذ خزائنه ولا يقهر سلطانه ووعده الحق في نصرة المظلومين .

حسبك العزاء في يسوع الناصري حمل صليبه ومشى درب الجلجلة، حسبك في شهيد كربلاء ورأس حفيد رسول الله صلى الله عليه وسلم يُحمل على أسنة الرماح.

صبرك يا أخي فما يضير الصابرين صبرهم. اصبر، يوجعهم صبرك ويؤلمهم صمتك وتخيفهم غيبتك. اصبر فما صبرك إلا بالله الواحد القهار.

يا أخي، إنّها الحرب آلتها مهلكة، وطقوسها منهكة، ونتائجها مريعة مرعبة، آثارها دماء وخراب ودموع، سادتها وحوش وضحاياها من هو مثلك بريء مقتول ومثلي مفجوع موجوع. حكاية مصرعك بلا مرقد ولا وثيقة، وحكاية وجعي بلا نهاية وشيكة. وتدور بنا وبك الأيام فيزداد وجعك ووجعي من عالم لا يتعظ من ألمك وألمي وجزعك وخوفك ودموعك ودموعي. فنرى أنت وأنا الحروب تنتشر هنا وهناك لتولد من جديد ظالم ومظلوم، خاطف ومخطوف، وموجوع مفجوع وحكايات مثل حكاياتنا. أي عالم هذا الذي أبقيته لي؟ وأي بشر هؤلاء الذين تركتهم لي؟ أظنك، وأعتقد جازماً، بأن رسالتك ورسالتي إلى أصحاب القرار في هذا العالم: أوقفوا

الحروب، أوقفوا الخراب والدمار والدموع، أوقفوا القتل والخطف وحكايات وجع بلا حدود ولا نهاية.

باسم المخطوف معين وباسمي أناشدكم يا أهلنا في لبنان لا تعيدوا الكرّة من جديد.

أناشد العقلاء والحكماء في العالم:

كفى قتلاً وتدميراً وخطفاً.

كفى ظلماً وتظلّماً.

يا جميع البشر في كل العالم المفجوع والمظلوم أوقفوا الحروب، أوقفوا الحروب، أوقفوا الحروب!

من معن إلى أخيه معين

***

اشتقنالك يا خيي،

اشتقنا يا خيي. اشتقت أغمرك وضمّك عا صدري. اشتقت إحلم فيك ويا ما حلمت تاصرت شوف الحلم حقيقة. اشتقت لطلتك الأبهى من صنّين اللي دافعت عنو وعن كل بقعة من لبنان. اشتقت للكتف اللي كنت عليه اتّكي. اشتقت للبطل اللي بشوف حالي فيه، اشتقت لعنادك، اشتقت لعزة نفسك اللي ما بتساوم عاالمبادئ. ثلاثين سنة وشوي وبعد الأمل ما مات.

اللي مات هو بيي من القهر، ويللي ماتت هي أمّي من طول الانتظار. ماتوا والحرقة بقلبهم. قادر يا رب ترّجعو. قادر يا رب تفك أسرو، قادر يا رب تجبلنا خبر عنو. يا خيي وين ما كنت منشوف حالنا فيك وبمسيرتك الوطنية. صلواتنا ودعواتنا بترافقك. اشتقنا لك ورح نضل ناطرين لأني بعرفك قوي وبتتحمل. ما رح نفقد الأمل. أملنا كبير بالرب. اشتقنالك وناطرينك.

من جميل إلى أخيه داود

بسم الله الرحمن الرحيم

إلى من عانقت روحه روحي وبلسم جراحي صغيراً وألهبها كبيراً...

أخي «علي»، ماذا أقول والحزن والألم على فراقك أنهك قواي وأتعبني طول سنين وأنت ما زلت بيننا لم تفارقنا لحظة واحدة، ما زلت الأخ والصديق ورفيق الطفولة والشباب.

لك أمٌّ انطفأت عيناها من كثرة البكاء والنحيب عليك وشلّت يداها. ظلّت على أمل رؤيتك قبل أن تفارقها الحياة. غير أنّها فارقت الحياة قبل أن تراك، وفي قلبها حسرة رؤيتك واشتياقها لك.

علي... عهدتك شابّاً مليئاً بالحيوية والنشاط والبسمة لا تفارق ثغرك. كيف أحوالك؟ هل ما زلت حيّاً ترزق؟ نمنّي النفس برؤيتك أنت ورفاقك الأبرياء وليتك تعود إلينا، نحن مشتاقون إليك كثيراً.

أرسل إليك تحيّة طيّبة عطرة مليئة بأريج الزهور ورائحة تراب بلدتي حولا التي ما زالت تسأل عنك. لقد اشتاقت دروبها وبساتينها إلى فتاها القوي الذي خُطِف.

أخي وقرّة عيني، هل تعلم أن ولدك الوحيد أصبح شابّاً وقد تزوّج وأنجب طفلاً اسمه «علي»؟ أمّا ابنته الصغيرة «ريان» فهي تشبهك كثيراً. إنهم جميعاً بانتظارك، هلا عدت إلينا محمّلاً بالحبَ والحنان. إلى اللقاء وليت اللقاء يكون قريباً.

أناشد أصحاب الضمائر الحيّة والمسؤولين عن شباب وطني لبنان أن يساهموا ويساعدوا في الكشف عن مصير أخي وباقي الأخوة الأعزاء.

من أنيسة إلى أخيها علي

اختطف سليمان في وضح النهار، ولكنه سيعود ولو على شكل بقعة ضوء

أمضى سليمان شبابه وهو يدير وجهه نحو الشمس. غمرت الأضواء البرّاقة أحلامه باستمرار، حيث أمضى معظم الزمن الفاعل في حياته العملية تحت شمس الوطن. أغراه هذا الضوء الساطع، فاتجّه إليه بالروح والجسد. هذا الأسمر المعتدل القامة، انكبّ على التعامل مع الأضواء، إمتهن تسليط الضوء إشاعة للفرح واحترف توزيع النور إظهاراً للجمال. كما في وظيفته اليومية كذلك في هوايته الأثيرة، كانت الضياء هي البوصلة. شغل الحيّز المكاني في عائلته، بطيبة المؤمن وبقدرة الضوء على تأمين السكينة. مارس دور حمامة السلام بين إخوته وأخواته، هو صانع النور في المسارح، ومهندس الأشغال في ضوء النهار.

في لحظة جنون الوطن غطّت العتمة مواقع عديدة، وهاجمت محبّي النور والضوء. سيطر الظلام وسادت الظلامية. غدر السواد بمحبّي النور وحاول إنهاء الضوء، وتعطيل نشاط سليمان. هوذا سليمان ما زال يضيء في غيبته المكان والزمان، متضامناً مع المئات من أقرانه المظلومين بسطوة العتمة، والتي لا بد أن يقهرها النور والضياء. لن تخذل الشمس من عاش معها وتلوّن بلونها وسبح بنورها، ونثر من ألوانها طرباً وفرحاً وأملاً وسعادة. لقد غاب سليمان، فترة طويلة أنضبت زاد والديه للاستمرار بعد غيبته، قضى والده ولحقت به والدته بعد حين حسرةً وشوقاً. إلا أنّ سليمان لم يعد بعد، ولكنه سيعود ولو ضياء كما عاش.

من ليلى إلى أخيها سليمان

***

أخي الحبيب،

ثلاثون سنة مضت على غيابك ولكنك ما زلت في البال. لم أصدّق يوماً بأنك متّ وفقدتك لأن لا دليل على ذلك.

أراك دائماً في أحلامي، أضمّك إلى صدري وأقبّلك وتقول لي بأنك لم تمت. أتمنى أن يتحقّق حلمي بمشيئة الله وشفاعة العذراء مريم، فهي ساعدتني كثيراً لأتخطّى يأسي وملأت قلبي رجاءً وعلّمتني الصبر والانتظار. فأنا أثق بهما، لأن من يسلّم أمره للعذراء ويسوع لا يفقد الأمل بشيء مهما كان هذا الأمر صعباً لأنّ لا مستحيل عند الله. وأنا بانتظارك.

من جوسلين إلى أخيها غسّان

عتبي عليك يا زمن

مرّت أربعة عقود ونحن نعيش الأمل والانتظار، نلتجئ إلى الله بالصبر والرجاء بأن يأتي باليوم الذي فيه ننتظر عودة من غاب كلّ تلك السنين ولم نلقَ أي جواب.

إنّما الجواب يحمله من غاب وأصبح في السراب بنظر من غيّبه وأسره بقسوة وبلا رحمة على العشرين ربيعاً ولا على قلب أمٍّ ما زال يقطر حسرةً على من فُقِد.

ما الذي حصده هؤلاء من جنى أفعالهم سوى وخز الضمير وجهل المصير؟

نحن أناس مؤمنون والله على كلّ شيء قدير – فالخلود لمن غابوا عنّا بذكراهم ثابتون.

من جرجورة إلى أخيه يوسف

***

من حرقة قلب ودمعة عين،

«اشتقتلك يا ولدي يا حبيب قلبي ميلاد...»

كل يوم صباحاً، كانت أمّي رحمها الله تفتح عينيها على صورة أخي ميلاد وتناجيها: «يا حبيبي اشتقتلك قديش صرلي ما بست خدّك وغمرتك. ٢٩ سنة... هالسنين شو طويلي انحرمت فيا منّك يا ميلاد يا ولدي».

كلام كتير كتير قدّ ما عبّر ما راح اقدر عبّر عن حرقة قلب أمّ، وكلّنا أمّهات ومنعرف محبّة الولد. فكيف محبّة الغيّاب...؟

غاب أبي وأمّي عن هذه الدنيا وحرقة بقلبهن إنو يشوفو أخي ولو للحظة قبل وفاتهما وكانت وصيتهما أن نهتم بقضيّة أخي وأن يأتي ويقرع عليهما القبر ويعلمهما بعودته.

غريبة هذه الدنيا، هيك صار قدر الإنسان؟!

وصيّتهما وأملنا الوحيد إنّك ترجع. ناطرينك يا خيّ...

من جانيت إلى أخيها ميلاد

من قلب أمّ ماتت منذ زمن وفي سر أنفاسها الراحلة حكاية ولدها المختفي عن عينيها الدامعتين. في كلامي حكاية... وحياة شاب في مقتبل العمر غادر ولم يعد.
باسم الأمّ التي ماتت... والأخت التي تحالت على وهج الشمس لتكتب إلى أخيها بعدما رحلت الأمّ، ولم تفارق دنياها صورته الغالية حينما غادرها... لم يرحمه الوطن ولم تشفع له بسملات أمّه الشاكية عذاباتها للورود الجورية... كانت تراه نبض قلبها ورقّة الدمع المتأصلة من رحمها المشتاق.
غاب عنها سريعاً ومضى في بحر الوطن يبحث عن ذاته. يداوي روحه الغائبة بلثمة ناعمة من يديها الساحرتين. غاب عنها وغاص في الضياع... في وطن هزيل... أتراه مات... أم غاب ؟ أم رحّله الموج إلى حيث اللامكان؟ و ما هي وصيته الأولى و الأخيرة؟
ذاب مع ملح الطائفية شهيداً حياً!
أتراه خط من دون ضريح؟
أخاطبكم باسم الأمّ التي أبكت ندى الفجر لتحكيه، أخاطبكم باسم الأخت التي راودها حلم اللقاء به، فاحتالت على النعاس وأطالت سهر الليل تغفو على مهل كي تطيل مرآه، تحدّثه، تسأله عن مكانه وزمانه، تسأله عن حبه وشبابه وموته وحياته. لكن الليل يمضي سريعاً على غير عادته. حينما رحل، أخذه منا الوطن الذي لم يهجره. نصفه عاش في الحقل والسهل والجبل وقرب شاطئ عمره... وربما مات... وربما لا!!! لعنة الحرب فتكت بجسده اللطيف. أم أنّ الغدر سلبه اسمه دون الروح؟
لا ورقة نعي خطّت حروف اسمه الذهبية، ولا أذان مؤذّن الحي المشتاق... حين دفنه، ولا رمز لنعي مكان ضريحه.
كانت الأمّ تسرح في خيالات الحنان كي تراه... تلملم آخر صورة له حملتها في قلبها... أسدلت جفنيها وغادرت هي... وما زال هو في دنيا لئيمة يبحث عن أمّ... عن أخت... عن حب... حياة. تراه يعود؟ أم ستعيده الأقلام وصفحات العمر التي لم يطويها ضريح، ولم ترثها وردة ما زالت تنتظر...؟ وما زلنا... وهنا تنطق الأمّ من برزخها وتسرد الأخت حكاية النورَ الوافد من عطاءاتكم.
نستحلفكم باسم الأمّ الغالية، باسم الدمعة المتوارية خلف حزننا الدامي... نستحلفكم أن تلملموا معنا ذاكرة أيامنا... نستحلفكم أن تبذلوا ما بوسعكم في السؤال عنه، عن رفاته، عن ثيابه وآلامه، عن روحه. عسى أن نلتمس نوراً يشبع فينا شوق اللقاء حيّاً أو ميتاً.
فلتتشابك الأيادي، ليحيا عمره من جديد.

من لميا إلى أخيها أحمد

أخي،

أتخيّلك خلف الجدران في سواد الليل تنتظر الصباح، وأتخيّلك تستنهض ما تبقّى لديك من شجاعة وعنفوان.

ها أنا أمشي الطريق أسأل عنك، أناديك وأقول: تعال... بيوتنا والمدينة لك... والحب الذي لا ينتهي لك.

إيه أخي، أتذكّر الماضي وأياماً خلت. وأراك في ضوء المرايا فأحنّ... أعترف أننا من دونك كالعقد الذي لم يكتمل... وأن الفراغ هائل.

أعود إلى المحاولة، أسير في الدروب، أتعب ولا أتعب، أشاهد خريف الأشجار، أكاد أطفئ الشموع لولا بارق أمل يلوح في الأفق.

لو عدت يا أخي لوجدتني هنا، على المفارق أنتظر، كما أخوات كثيرات تنتظر.

من نجاة إلى أخيها أحمد

***

شكّل أخي بسمة العائلة التي كانت تتألف من عشرة أشخاص. لفقدانه أثر كبير وخاصة عليّ بسبب مرافقته الدائمة لي. همّه الأوّل زرع البسمة في قلوب الأصدقاء وأفراد العائلة. يواجه الحياة بابتسامة دائمة ويعمل لإسعاد الجميع ولو على حساب نفسه. خدوم.

بتمنى لو أي إنسان بخبرني عنو خبر يشفي غليلي.

أخي هو أحد أوائل أسرى الحرب اللبنانية. لقد توفّي العديد ممن حاولوا مساعدتي للعثور عليه أو سماع خبر منه ولا أزال أحيا مدفوعاً بأمل اللقاء به مجدداً.

لا أتمنى لعدوّي قبل صديقي أن يخوض تجربة هذا الغياب واللهفة والغربة والاشتياق.

أنتظر إجابة.

من جبران إلى أخيه الياس

ابني الصغير يسألني
متى يرجع لنا عمّي
وهل يرجع
مع الليل أو الفجر
مع البرق أو الرعد
مع الأوجاع والوجد
فهل يرجع لنا عمّي
ابني الصغير يسألني
***
مضى عام ولم يرجع
ابني الصغير يسألني
عن العمّ الذي غاب
عن الحلم عن الحب
ما أظن ذئاب الغدر
حملته إليها قسراً
قادته إلى وكر
سكن الأفاعي والجن
بناه الظالم الوغد
باسم الدين أسماه
باسم الثأر والحقد
لقتل الحب والورود
فهل يرجع لنا عمّي
ابني الصغير يسألني
***

تركنا وما ودّعنا
ما شمّ خدي وما سلّم
وما غنّى لي لحناً
فهل لا يزال يذكرني
أنا في الحلم ألقاه
أنام على ذراعيه
أقبّل كلا خدّيه
أقبّل وجهه الأسمر
يغيب خلف أحلامي
وفي اليقظة يهجرني
فهل يرجع لنا عمّي
***
سأكتب أنّي مشتاق
لماذا الهجر يا عمي
أنا مشتاق لرؤياه
أمام الباب أنتظر
أحنّ إلى لقياه
سأفرش الدرب أزهاراً
سأكتب له أشعاراً
فهل لا زال يذكرني
ابني الصغير يسألني
متى يرجع لنا عمّي
***

كبرتُ وضاعت الذكرى
وعن سؤالي لم تجب
وتظن أنني أنسى
أنا يوماً ثناياه
أنا دوماً أحدّثه
كأنه لم يزل معنا
يهلّ على مطارحنا
يدور في خواطرنا
في قلبي رسمه الغالي
فهل لا زال يذكرني
ابني الصغير يسألني
متى يرجع لنا عمّي
***

من علي إلى أخيه سليم

كما كلّ عام تمرّ علينا ذكرى أليمة على العائلة جمعاء، إنها الذكرى الثانية والثلاثون على اختفاء أخي أحمد. هذه الذكرى التي يعتصر القلب منها ألماً تترك أثرها العميق في نفوسنا ولوعة في قلوبنا ودمعة ما تفارق أعيننا. منذ اثني وثلاثين عاماً جاءنا الخبر المفجع: لقد خُطف أحمد على إحدى حواجز الموت. كانت صدمة هزّت كياننا. أحمد خُطف؟ لماذا؟ ما هو ذنبه؟ ما الجريمة التي اقترفها لكي يخطفوه؟ ولكن لم نجد جواباً، مثله كآلاف اختفوا في فترة الحرب ولم يعودوا.

منذ اثنَي وثلاثين عاماً، أي من لحظة الاختطاف وحتى يومنا هذا، لا نعلم عنه شيئاً. أهو في عداد الموتى أم لا يزال على قيد الحياة؟ وللأسف لم نجد من يجيبنا على سؤالنا.

توفيت والدتي التي كانت تحلم به عائداً يدقّ الباب عليها ليقبّل يدها ورأسها وتملأ عينيها برؤيته سالماً. وكذلك أبي الذي توفي في العام الماضي، هذا الوالد الذي أتعبته الحياة وظلمته، لم يترك باباً إلا ودقّه أملاً بمعرفة شيء يعطيه أمـلاً عن ابنه المفقود. أقول مفقود لأننا نتمسّك بالأمل بعودته يوماً ما.

أهو على قيد الحياة؟ أين هو؟ في أي سجن يقبع؟ وإن كان قد توفي؟ فأين دُفن؟ لعلّنا برؤية التراب تقرّ النفس وتستكين، ومعرفة مصير مفقودنا يهدِّئ من حرقة قلبنا ولو بالموت.

من مهدي إلى أخيه أحمد

***

بشتقلك كتير، ودايماً بحلم فيك، وعندي أمل كبير إنّي راح إرجع شوفك، حاسّة بوجودك. بس إنت وين؟ ما بعرف. ودايماً بخيالي بشوفك راجع ولابس طقم بيج. نحنا ما نسيناك وأنا كتير اشتقتلك يا «نعومي». وبكل صلاة بدعيلك وبأي مناسبة بدعيلك. مش قادرة إنسى طفولتك ولحظة اللي أخدوك من إيدي... ما قادرة انساها. وبطلب من الله بأقرب وقت ترجع.

وبدي وجّه رسالة للناس اللي أخدت خيي... مرّت سنين كتيرة، إمي راحت وأنا مريضة، وإذا أنا صرلي شي، من بعدي مين راح يسأل عن خيي؟ يا يللي أخدتو «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء». أي حدا إلو علاقة بالاختفاء يحطّ حاله مكان العالم اللي عم تعاني، الحياة مش دايمة، ارحمونا من الحسرة اللي عايشين فيها. للأسف الحروب مستمرة وهيدا واقع الحياة، بس شو ذنب المدنيين والأطفال؟ أملنا من الله إنو يجمعنا مع الغايبين وكتّر خيرو على كل شي.

من نجلا إلى أخيها نعيم

أخي الحبيب حسين، فرج الله أسرك،
اشتقت إليك، لقد طال الغياب والفراق، واحد وثلاثون عاماً مضت وأنت بعيد عنا.
واحد وثلاثون عاماً وأنا معك وأنت معي. منذ واحد وثلاثين عاماً عندما عرفت أنك سجين وأسير بين جدران السجن والأسر، أخذت عهداً على نفسي وأمام الله أن أعيش حياتي كما تعيش في سجنك إلى أن تعود.
عهدي على نفسي أن أسجن نفسي كما أنت سجين .
أنت سجين بين جدران السجن وأنا سجنت نفسي خارج جدران سجنك، في سجن الدنيا الكبير.
وبما أن في السجن لا خروج ولا نزهة ولا رفاهية ولا تمتّع بمباهج الحياة، فعهدي أنه كما أنت، أنا أيضاً، لا خروج ولا نزهة ولا رفاهية ولا تمتّع بمباهج الحياة مثلك.
وعندما يسألني الأهل والأصدقاء والزملاء والأحباء لماذا لا تشاركنا في المناسبات، يكون ردّي أن هذه الأجواء لا تناسبني. ولكن مع نفسي أقول هو عهدي أن أكون مع أخي وكأخي. وهذا العهد لم أبح به لأحد منذ واحد وثلاثين عاماً إلا لك في هذه الرسالة.
أخي الحبيب، طمئني عنك ولو في أحلامي ومناماتي. أين أنت؟ وما هي أحوالك؟ اشتقت إليك.
كل مباهج الدنيا برفاهيتها ونزهاتها ومرحها متوقفة عندي بانتظار لقياك. فالقلب والعقل والشعور يوحون لي بأني سأراك مهما طال الزمن.

أخوك المشتاق

من عمر إلى أخيه حسين

***

عزيزي أخي واروجان،

لقد اشتقت إليك كثيراً، وأتمنّى أن تكون حياً الآن من كل قلبي. غالباً ما أتذكّر الأيام السعيدة عندما كنا مجتمعين بسعادة قبل غيابك. ما زلت حتى اليوم أنتظر رجوعك بسلام. لقد توفيت أمّنا بعد اختفائك بسنتين ومن ثم أبي. أخي وأختي وأنا ننتظر رجوعك بإذن الله. أقبّلك من كل قلبي.

أخوك المنتظر رجوعك بسلام

من وارطان إلى أخيه واروجان

أخي الحبيب طوني أعادك الله إلينا سالماً،

قبلات أخوية حارّة أطبعها على خدّيك، وضمّة قويّة إلى صدري تشعرني كما في السابق بدفئ صدرك وقلبك النابض بالحبّ والحنان.

لم أتردّد ثانية عن تلبية النداء الآتي من قلب أمّي المفجوعة بفقدانك، التي توفيت منذ سنوات ثلاث طالبة منّي أن أرسل إليك رسالة أطمئنك فيها بأن الجميع ما زال ينتظر عودتك بفارغ الصبر. رسالة منا جميعاً، أخوتك وأولادهم دون استثناء. طوني ابن جوزيف، يحظى بالقسم الأكبر من صفاتك، كونه لا يحمل اسمك فقط، بل يجسّد بعض خصالك الطيّبة كالجرأة والوفاء. جورج ابن عبد الله، يحمل اسم جدّه و طيبته و حماسه للكّد و العمل، جدّه الذي احترق فؤاده وجفّت رئتاه حزناً على فقدانك والذي غيّر كل حياته بعد المصاب.

والدتنا الحبيبة التي كانت تلهج باسمك وتردّده على مسمع بنات جان، و تحمل صورتك التي كانت تقبّلها أمامهنّ دوماً جعلتهنّ مؤمنات أكثر منّا الكبار بعودتك سالماً، فهنّ يعرفنك تخيّلاً من خلال صورتك وشرح جدّتهنّ عنك. هنّ أيضاً ينتظرن معنا عودتك بسلام.

حضرت والدتنا أمس في الحلم، و طلبت مني إرسال هذه الرسالة لك. بعد صلاة الشكر تيقّنت أن الروح القدس هو الملهم لهذه الرسالة التي ستصلك وتنعش قلبك وذاكرتك، لتؤكّد لك أننا لم ننس يوماً شخصك الطيّب والكريم. فأنت الأخ الجناح والحامي من كل ضرر. لم نقبل يوماً أن نكفّ عن البحث عنك حتّى أننا في النهاية تركناه بين يدي العذراء أمّنا الحنون وعلى الله الذي ربما اليوم يحرّك مشاعر آسريك فتهتزّ وتضطرب فعلاً عند قراءة هذه الأسطر فيقتنعوا ببراءتك ويطلقوا سراحك لتعود إلينا بأقرب وقت.

إني على يقين بأن إيحاء الوالدة بكتابة الرسالة يتلاقى مع تمنيّات كل الأخوة بالعودة القريبة، لنكمل مشوار العمر سوياً دون أن يفرّق بيننا أي سوء أو مكروه. بهذا الإيمان والأمل أتوسل وأتضرّع إلى أمّي العذراء الحاضنة لنا جميعاً أن تكرمنا بهذه العطيّة في شهرها الفاضل وتجعل أعجوبة عودتك إلينا سالماً واقعاً أكيداً.

اقبل منّي، أخي الحبيب، ومن إخوتك جميعاً وعائلاتهم أصدق المشاعر وأحرّ القبلات.

من ميشال إلى أخيه طوني

لو كانت الأرواح تهدى

ما للغيوم السود تعبس في السماء وما له بهت الزمان

يا فارس الفرسان هل حقاً رماك الدهر عن ظهر الحصان؟

أي الكلام أقول فيك و ما يوافيني المقال

يا سيّد الميدان هل حقاً طواك الموت يا زين الرجال

لو كانت الارواح تهدى يا أخي

لو كانت الارواح تهدى ياجمال

و لكن على الرغم من كل شيء، سنظل نحتضن الحياة

من كل نافذة سنلقي الزهر في أحضانها

من يمنع الأطفال أن تهوى صدور الأمّهات

في مستقرٍّ سوف تبقى الشمس تجري... واعلموا

مهما فعلتم...إطلاقًا لن تقلبوا شرع الحياة

من فريد إلى أخيه جمال

إلى الذي يسكن في قلبي، إلى رفيق الطفولة

إلى من ترعرع بين أحضاني، إلى من احترق قلبي على غيابه

إلى من لوّع القلب ضياعه، إلى من يتغلغل عشقه في عروقي

إليك يا غالي، بحبر الدموع ومن لوعة القلب وبلهفة المشتاق أكتب. من قلب أمٍّ تألّم واحترق شوقاً وعذاباً، ونزف ألماً ودموعاً حتى وافته المنية من الحرمان و شوق لرؤية وضم فلذة كبدها. ماتت وهي تتضرع راجية أنّه في حال عدت أن تدقّ باب قبرها ليشعر قلبها بعودتك.

بشوق أبٍ أقعدته الفاجعة ولم يستطع الصمود. أكتب بحرمان أخ محطّم الفؤاد شوقاً إليك يا عمري .أكتب علَّني أطفئ نيران قلبي وإني على يقين أنها تتأجج على مرِّ السنين ولن تطفئها سوى عودتك يا أخي . افتقدنا الابتسامة و السعادة والفرح. أين الفرح؟ وشمعة البيت غائبة.

كانت حياتنا تضجّ بالفرح والمنزل تغمره السعادة. ترعرعنا في كنف عائلةٍ متواضعة، بين أمٍّ وأبٍ حنونين وجدّين فاضلين أثقل كاهليهما تعب السنين.

لكن على الرغم من كل شيء، نشكر الله على كل نعمةٍ أغدقها علينا، حتى أنّ أبناء العائلة قرّروا الانخراط في السلك العسكري والحمد لله أيضاً. مضت سنين أربعة، والحرب اشتدت في الوطن واشتعلت الجبهات والجيش كان في المواجهة في ذلك اليوم المشؤوم، يوم انقلبت الحياةُ رأساً على عقب. هو تاريخ «١٣ تشرين» الذي خسرنا فيه أغلى ما عندنا. ولم نكن نعلم مصيرنا إلا في اليوم الخامس عشر من شهر تشرين الثاني سنة ١٩٩٠. جُنَّ جنون العاصفة ونحن منهمكون خوفاً وحزناً وأملاً نبحث عن أحبائنا ولكن دون جدوى. وعندها بدأت طريق الجلجلة و العذاب و التشرد والضياع والحزن والأسى واللوعة في قلوبنا على ضياعك يا أعزّ الناس.

تهت ضائعةً في هذه الدنيا ولا أدري حقيقة مشاعري ألا وهي مشاعر الأخت التي فقدتك بعد أن زرتني قبل ساعاتٍ وأخذت قلبي معك.

من إلهام إلى أخيها بطرس

أتوجّه إليكم أيّها السادة.
أتوجّه إلى كلّ من يمكنه أن يساعدنا في هذا الأمر ولا أطلب إلا دقيقة فقط.
أغمضوا عيونكم، وتذكّروا أحد المقرّبين الأحباب إليكم، وتخيّلوا أن تفقدوه وأن لا تسمعوا عنه شيئاً... ما هو شعوركم؟
تخيّلوا أن يكون ميتاً ولا تملكون قبراً تزورونه وتضعوا عليه باقة ورد.
تخيّلوا أن تقضوا أيّاماً وأنتم تنتظرون عودته ولا يعود.
ماتت أمّي و مات أبي.... وفي قلبهم حسرة على ولد كان أملاً لهم ويرونه من أفضل الناس في هذه الدنيا.
إفتحوا عيونكم أيها السادة.
لم يعد أخي، ولا أعرف عنه شيئاً.
لا أطلبُ إلا أن أعرف. وهل هذا كثير؟

من جلال إلى أخيه بلال

***

ما زلنا ننتظر عودتك. أمّي لم ترتدي ثياب الحداد لأنها واثقةٌ أنّك ستعود. من أين تأتي بهذا الأمل؟ وأنا أعرف أن أخي واحدٌ من المئات بل الآلاف الذين فُقدوا خلال الحرب الأهليّة ولم يُعرف مصيرهم حتى الآن. أصبحت الأمنية الوحيدة أن نعرف أين دفنوا، عسى أن يكون هذا الخبر ما يثلج الصدور ويقفل باب الانتظار. قرعتُ أبواباً كثيرةً لمعرفة مصير أخي معتقداً أن انتهاء الحرب ومعزوفة التصالح ستمكّنني من تتبّع أثره، لكن دون جدوى. سنواتٌ مرّت وتعايشتُ مع فكرة موته ولكنّي ما زلتُ أبحث عن حفنة التراب التي دفن فيها.

من عبد الناصر إلى أخيه محمد

خُطِفَ أخي... نعم لقد خُطِفَ أخي. لا نعرف كيف ولماذا ومن هم الذين اختطفوه. ابن التسعة عشر ربيعاً، لم يعد موجوداً ! لا نعرف مع من، ولا من الذي اختطفه. لماذا، لا نعرف؟... يقولون إنّها الحرب... نعم إنها الحرب العبثيّة. لماذا؟ لا ندري. فقط أمروا بالحرب والتعذيب والترهيب وتقطيع الأوصال وأخذ حريّة غيرهم... فمن هو الذي أعطاهم هذا الحق؟

من تيريز إلى أخيها خليل

***

أخي، حبيبي،

لن ننساك.

منذ ذلك اليوم المشؤوم ونحن نعيش حالة من البؤس واليأس والانتظار. ننتظر خبراً ما. وللأسف حتى الآن لم نحصل على شيء لكننا لم نقطع الأمل.

لقد رحل والدك والحسرة في قلبه.

رحلت ابنتك وهي تنتظر أن تعرف مصيرك. رحلت وهي تسأل: «أين أبي وأمي؟»

رحلت والدتك والغصّة في قلبها وهي تقول: «يا ريتني بشوفو ولو لحظة». رحلت وهي تقول: «يا شامل وينك يا حنون؟، وينك يا مظلوم؟»

حسبنا الله ونعم الوكيل. وليس لنا إلا الله هو القادر على كلّ شيء.

لم ننساك يا أخي.

من مرعي إلى أخيه شامل

أخاطبك يا مجهول المكان والوجود، يا غائب. ترى هل تصلك كلماتي وأنت تقبع في زنزانة القهر والتعذيب والإبعاد وحرمان رؤية الأهل والأولاد وحجز حريّتك التي هي أثمن ما في الوجود؟ هل حصل لك هذا بفعل اختلافك عنهم رأياً أم لاتخاذك موقفاً معادياً لنهجهم؟ أتُّهِمت بجرمٍ لم تفعله ودُبّر لك؟ لقد مضى على اختفائك سبعٌ وثلاثون سنة منذ فقدناك. فبالنسبة لعائلتك، كل يوم من تلك المدّة يعادل دهراً، دهراً من اليأس والحزن والبكاء والتشرّد على الطرقات والبحث في كل مكتب... ولكننا كنّا نُقابَل بالتجاهل والإنكار والنفي وكأن قوّة سحريّة اقتلعتك من جذور الأرض وحملتك إلى مجاهل الدنيا.

سيطر على حياتنا – أعني أفراد أسرتك جميعاً – قدر ملؤه القهر والعذاب والدعاء والانتظار لأي خبر أو معلومة تشفي غليل قلوبنا. تكاثرت الأخبار عن سجنك في معتقلات عدّة، وكنّا نتابعها مع المسؤولين لكنّهم كانوا ينفون ذلك ولا يعترفوا بوجودك لديهم. أما السجناء فكانوا يؤكّدون وجودك معهم، و عندما كنّا نطلب من بعضهم مساعدتنا والشهادة بما لديهم من معلومات، كانوا يخافون الظهور أو المجاهرة بقولهم أمام الأنظمة الرسمية.

عشنا في دوّامة الحيرة والترقّب والمشقّة والعذاب لفقدان الزوج والأب والابن والأخ والخوف من أن تكون قتيلاً راقداً تحت الثرى مجهول القبر محروماً من زوّاره، لا تسمع فيه بكاء أمّ معذّبة حزينة أو أخت فجعت بفقدانك أو أخٍ صارخٍ تركتَهُ طفلاً يتيماً لا عون له ولا سند سواك وطفلتك الرضيعة ابنة الأربعة أشهر.

غِبتَ عنّا بالجسد ولكنّك لم تغب عن عيوننا ثانية. نراك أمامنا كيفما اتجهت أنظارنا وينبض قلبنا بالحياة كلّما ذُكِر اسمك على لساننا، فتذرف العيون دموعاً وتقطر القلوب دماً ويبقى الأمل لرؤياك السبيل الوحيد الذي يخفّف آلامنا ويجعلنا نتنفّس في الحياة.

من كرمه إلى أخيها محمد

أخي الحبيب جورج،
لقد اشتقنا إليك كثيراً. مرّت سنوات عديدة ولم نرك فيها. نريد أن نطمئن عليك ونعلم إذا كنت بخير. ما أصعب السفر يا أخي لكن أظنه أهون من ألم سجن حرية إنسان. لا تيأس يا أخي، لأن الله لا يترك بريئاً.
نحن جميعاً قلقون عليك، والدك ينتظرك وهو حزين ويتساءل عن أخبارك وما قد حصل معك وبك . أما والدتك فقد اشتاقت إليك كثيراً ودائماً ما تقف قرب النافذة وتنظر إلى البعيد علّها تراك راجعاً. طال انتظارها ولم ترجع. تحمل صورتك وتقبّلها ثم تضعها على صدرها وتردّد: «الله يحنن قلوب القاسي عليك يا إمّي» وتتمنّى أن ترجع إليها قريباً.
أما أنا وإخوتك وأخواتك، فشو بدي إلّك؟ اشتقنالك! يا خيّي منبوسك عبر هالرسالة بلكي تبرّد قلبنا وتفش قلبك. نتمنّى أن نراك قريباً لكي نعلم ما حصل لك.
على أمل اللقاء القريب حماك الله يا أخي العزيز. انتبه على نفسك وقبلاتنا الحارّة لك.

أختك المخلصة

من حنينة إلى أخيها جورج

***

أخي الحبيب داود،
ثلاثون عاماً مضت والعائلة تتقلّب على جمر الشوق والانتظار. تضيء الشموع علّها تنير درب عودتك إلينا.
أخي، لم نترك باباً إلا وطرقناه ولا من مجيب. أبي وأمّي توفّاهما الله. بقيا حتى الرمق الأخير يذكران اسمك، ويتمنيان أن يغمضا عينيهما على رؤيتك لكن أحداً لم يحقق لهما هذه الأمنية. أبناء ولدوا في العائلة بعد اختفائك لا يعرفون منك سوى الصورة و ما نخبرهم نحن عنك. في الحلم أراك فأفرح وأشكر الله وعندما استفيق، أحسّ أنّ الحلم كان كابوساً. لكنني حتى هذه الساعة سأظلّ أشكر الله وآمل أن يعيدك إلينا.
كلمة أخيرة: آمل أن يصحو الضمير وتستفيق الإنسانية في قلوب القيّمين على ملف المفقودين ليبلسموا جراح الأهل بأخبار صريحة وصحيحة عن أبنائهم. كفى انتظاراً وقهراً ومعاناة. كفى استباحة لشرعة حقوق الإنسان الجسدية والعاطفية.
أتريدون منا أن نبقى نائمين لنرى أخوتنا وأحباءنا في المنام فقط؟
هداكم الله إلى ما فيه الخير والرجاء لجميع المفقودين وعائلاتهم.

من جميلة إلى أخيها داود

معاناة أخت المفقود منذ ١٤ حزيران ١٩٨٢

نادته الوالدة ولم يعد. ثم توفيّت محطّمة القلب.

ناداه شقيقه عصام، لم يعد أو يجيب. توفي عصام مجروح القلب من كل من حوله.

أنا وحدي الآن، من ينادي: حسام! حسام أين أنت؟ هل أنت في السماء مع ابنتك الوحيدة الحبيبة ريتا؟ ووالدتك ماتيلدا وأبيك داود وأخيك عصام وأختك أنصاف؟ رحمهم الله جميعاً. كانوا «خيرة الناس الأوادم». هم في الجنّة صحيح وأنت أيضاً يا حسام وهذا ما أتمناه بعد كل هذه السنين. لأن عدالة السماء أفضل بكثير من عدالة البشر. خلص العمر يا حسام وبعدنا ناطرين. إلى متى؟ فلست أنت الأول، هنالك كثر قبلك وبعدك اختفوا ولم يُعرف عنهم شيء. ولغاية الآن نعيش كأننا في اليوم الذي خُطفت فيه، لم تتغيّر حالتنا الحزينة نحن الأهل. بالله عليكم من يعرف عن أخي حسام شيئاً فليأتي ويخبرني الحقيقة. أنا أسامحه لأن العدالة ليست هنا بل عند الله وأنا متأكّدة ومؤمنة لأن لديّ الرجاء.

ماذا أقول لك يا أخي! أنا مشتاقة إليك كثيراً يا حبيبي. الأهل كلهم صاروا بدنيا الحق وأنا وحدي أعاني المأساة. «يا ريت بعرف أي شي» . أريد أن أعرف الحقيقة. هذا كل ما أريد. الإيمان والرجاء كبيران عندي ولا بدّ أن يفرجها الله أخيراً ويساعد المقهورين في هذه الأرض... الحمد لله.

أنا مرتاحة مع عائلتي، الحبيبين يوسف وربيع وعائلاتهما وزوجي ناصيف. كنت تقول: « ستكونين سعيدة عندما سيكبر يوسف وربيع». الله استجاب لطلبك. «صحيح ما في حدا من أهلي حدّي» ولكن وعد مني أني سأحافظ على البيت الذي تربّينا فيه بمحبّة وإيمان... رائحة القداسة في هذا البيت... وبما أني لم أزل على قيد الحياة سأحافظ على هذا البيت ومن بعدي أولادي الأحباء.

«يا ريت بعد بشوفك يا حسام، اشتقت لك كثير». عزائي إذا لم نلتق على الأرض أن نلتقي في السماء أيها العزيز. كرامتك كانت قبل كل شيء وها أنا بعد غيابك أحافظ عليها من كل قلبي وبكل وجداني.

إلى اللقاء أيها الحبيب حسام.

من نجاة إلى أخيها حسام

طال الغياب

بسم الله الرحمن الرحيم

حائرة من أين أبدأ، أمن شوقي أم من قهري أم من حسرتي على غيابك؟ فقد طال الغياب يا أخي. ماذا أكتب؟ أكتب عن النار التي أطفأت عيوني؟ يا أعزّ الناس أنت، يا من كنتُ آمل وأرجو أن تكون السند والكافل لنا ولأمّي وأبي، لقد طال غيابك يا نور عيني وقرّة عيون أهلك.

أخي الحبيب، ماذا أكتب لك عن أبيك الذي فارق الحياة بعد صراعه ومقاومته المرض على أمل أن يشفى ويطول عمره ليراك، فارق الحياة وهو ينتظر عودتك ويتمنّى أن تكون آخر من يُغمض عيناه على رؤياه. لكن يا حبيب قلبي فارقها وهو يُنادي باسمك. ماذا أكتبُ إليك عن أمّك التي فقدت عقلها بسبب شوقها إليك والتي تجلس على كرسيّها وعيناها شاخصتان إلى الباب و لا تقبل أن تُقفله، تنتظر عودتك وتقول دائماً «هاليومين جايي كامل» وتحلم أن تضمّك إلى صدرها قبل أن تفارق الحياة.

ماذا أكتب إليك عن شوقي وشوق أختك وعن شوق أن أسمعك تناديني بأختاه وأردُّ وأقول نعم أخي ونور عيني. آه ما أجمل كلمة «أخي». يا ربّ يا ربّ أرجع لي أخي. يا حبيب قلبي، نور دربي. لقد اشتاق إليك رفاقك ودائماً يسألونني: « هل من أخبار؟» واشتاقت طرقات القرية وهي تصرخ وتقول: «متى يعود الغالي؟»، «متى يعود ليفرح قلبي وقلب أمّه وأخواته؟». يا ربّ لماذا لا يزال أخي وبقيّة الشباب في السجون؟ يا إلهي ماذا فعل ابن الستة عشر عاماً ليستحقّ هذا السجن؟ نقول «كفى، كفى! ما ذنبه أن يحرموه الحياة؟!».

أصرخ بأعلى صوتي وصوت كل الأمّهات والأخوات ونرجو أن يعلو مع صوتنا صوت كلّ الأفراد وكلّ من في قلبه رحمة وأن يضع نفسه مكاننا، هل يقدر أن يعيش بدون قلبه وروحه وعمره؟ نعم نحن نعيش بدونهم.

وأخيراً، أتمنّى أن أراك يا نور عيني وأن يفرجها الله عليك وتخرج من وراء قضبان سجنك، أنت وكل الشباب الذين يعانون مثلك.

من فريال إلى أخيها كمال

يـــا لبنـــان يا عظمـــة إرادي
يا مفعم بالسيادة والمبـــادي

من تحت سقفك جامع الأديان
شميلة ورود بعطرها غـــادي

والحرب يلّلي فرّقـت إخـــوان
جابت لنـا الويلات بزيـــادة

جابت لألنـا الهـمّ والأحـــزان
والخـــيّ بينكر خيّ ويعـــادي

زهقنا من الـــحرب والنيـــران
اشتقنا لصوت البلبل الشادي

ومهما الحروب ترّوع الإنســان
بتبقـــى المحبّـــة خيـر زوّادة

نحنا خلقنـــا للهـــوى عنـــوان
وصعبـة علينـا نغيّر العـــادة

وكرمال يبقى هالوطن منصان
وكرمال نحيا بأرض أجـدادي

وكرمـال فينا يفتخر لبنـــان
تعـوا نزرع للثقـــافة حصـون

و نحصد محبّة وخير ببلادي

من نبيل إلى أخيه وهيب
وإلى كافة الشعب اللبناني

الأقرباء

أنين الفراق

ها هو الحنين يعود إلينا من جديد...
يعود ليطرق أبواب القلوب الحزينة، وليوقظ الماضي الأليم... الذي نام طوال تلك السنين...
يعود ليعزف ألحاناً حزينة على أوتار القلوب الممزّقة...
سنوات مرّت على لهيب الفراق...
ستائر الحزن أسدلت على عيون الأحبّاء...
فُقدوا في زمن الغدر اللئيم الذي لا يعرف معنى الرحمة...
أيا غدر لمَ سرقتهم باكراً؟!
لمَ نهشت حريّتهم بأنيابك الحادّة دون شفقة؟
لمَ أخفيتهم بين طيّات الظلم والنسيان؟
سرقت النور من أبصارهم، والحنين من قلوبهم...
وألقيت بهم في عالم الظلمة المجهول، فلم يروا نوراً من شمس الأمل...
ها أنا في محطّة الحيرة، لا زلت أنتظر وأنتظر...
سنوات مرّت... سنوات مضت وأنا أكتب عنكم...
أسأل أوراقي وحبري عن مصيركم، ولكنني لم أجنِ سوى ثمار الخيبة، الخيبة التي بُنيت على الأمل.
وقضيت عمري بين قضبان الصبر...
أمضيت كل وقتي أفكّر في مصيركم...
بقيت أسير ذكراكم...
فارقتني السعادة لفراقكم، واجتاح قلبي اليأس والحزن...
والآن قد تشرق شمسٌ جديدة، تحمل في خيوطها رسائل الأمل...
أملٌ بالوصول إلى مركب الخلاص، علّهم يبحروا إلينا،
عائدين إلى شاطئ السلام...

من بيان إلى قريبها محمد

أهو الشوق أم هو الحنين إلى الماضي الذي أضحى بعيداً؟ إلى البيت، إلى سكّانه، إلى من كانوا يبعثون الحياة في أرجائه؟ ظروف قاسية، حرب همجيّة، لغة غير مفهومة قضت على كلّ شيء، دمّرت الحجر وأبادت البشر، وأناس كثر فقدوا، لماذا؟ هل من أحد يعرف الجواب؟

ربّما الحب، نعم هو الحب الذي تجّذر في نفوسهم فجعلهم متمسّكين بأرضهم ويرفضون التخلي عنها. هم الأوفياء لا يعرفون الغدر فأضحى رباطهم مقدّس وعطاؤهم متبادل، مجبول بالبذل والتضحية حتى الرمق الأخير ولا مكان عندهم للمساومة على أرضهم التي بقوا معها شركاءً حتى النهاية.

لا مكان للأنانية ولا للمصلحة الشخصية... تجرّدوا فدفعوا الثمن غالياً وباتوا ضحايا، وما كان ذنبهم إلاّ أنهم من أبناء بعض من بلدات وقرى الجبل، الذي فرّقت وشتّت الحرب أبناءه. حينها اندثرت القيم، قُيدت الحرية، خفت الصوت، وساد الموت.

أكثر من ثلاثة عقود مضت ولا خبر عن المفقودين الذين ما زال مصيرهم مجهولاً. أيعقل أنهم أحياء يرزقون؟

لوعة وحسرة ودموع انهمرت... وما الفائدة؟ لقد طال الزمان والكل يترّجى عودة مفقوديه. نفقٌ لا ينتهي... ظلمة حالكة وطول انتظار.

تجربة قاسية وموجعة أصابت العديد من اللبنانيين وبمختلف طوائفهم وانتماءاتهم، وليس فقط في قريتي بمهريه. أربعة عشرة من أبنائها فقدوا ولم يُعرف عنهم شيئاً ومن بينهم عمّاتي الإثنتين اللتين رفضتا الهروب معنا إلى بيروت وآثرتا البقاء في القرية ظناً منهما أنهما تستطيعان المحافظة على البيت والممتلكات إلى حين عودتنا. يا للأسف فقد أخطأتا الظنّ. أدعِيتُهما لنا بالتوفيق ما زالت ترنّ في آذاننا، عيونهنَّ الدامعة ووجهاهما القلقان على مصيرنا قبل مصيرهما ما زالت شاخصة أمامنا.

يا للسخرية، لم تبقَ الاّ الذكريات. نحن كبرنا وهم شاخوا، ولكن أين؟ هل في عوالم أُخرى؟ وهل نبقى على أمل اللقاء؟ نعم، برجاء كل مؤمن سنصلّي ونبتهل ونتضرّع كي يعودوا سالمين أو كي يرقدوا بسلام.

من زهور إلى عمّتاها شاهينة وفهيمة

حكاية سجين

منذ سبعة وعشرين عاماً... كان عمره خمسة وعشرين عاماً... كان آملاً في الحياة وصاحب طموح كبير... كان قد تعلّم ونال شهادة جامعية... في أحد الأيام امتدّت يد الغدر والجبن، أيادي يحرّكها حاقد من دون ضمير. وبعد ذلك غاب أخي وليد. وبدأت أمّه وإخوته يسألون عنه... أين ذهب، أين اختفى؟... وقد تساءلنا مراراً وتكراراً، ما الذي جرى ليختفي دون إخبار أهله وما هو الذنب الذي اقترفه... أو بالله عليكم لماذا يختفي وليد والعشرات مثل وليد... لحساب من؟ وماذا أقول بعد مرور سبعة وعشرين عاماً على فقدان الشاب الذي كان في ربيع شبابه والآن، وإن كان على قيد الحياة، فقد أصبح بالخمسينات من عمره؟ كل إنسان صاحب قلب أسأل: «أيستحق هذا الشاب هذا الغياب؟» يا الله لك نفوض أمرنا... لعلّ وليد يعود ويكمل الحكاية.

من العائلة إلى وليد

***

ها قد مرّت سنين على غيابك، وأهلك لا يزالون يأملون بلقائك
وأنا ابنة أخيك الحالم بلقائك حيًّا كنت أو ميتًا
وفي كل يوم ألتقي فيه أهلك يتحدثون عنك وكأنك هنا بجوارهم
وعيونهم لم تجفّ منذ غابت ابتسامتك
عندما رحلت قسراً ومن غير موعد
قالوا سيعود ولن يطيل غيابه ولم يتوقعوا أن تغيب ويُطال انتظارك
ومنذ ذلك اليوم ونحن نطالب بمعرفة مصيرك ومصير أصدقائك
فلا تخف يا عمّي من أن تذهب قضّيتكم
فلا يذهب حَقٌ كان وراءه مطالب
وسنظلّ نراوح قدماً حتى ترتاح روحك وأرواح كل معتقل صامد

من سراء إلى عمّها حسن

بسمه تعالى

بيروت، عاصمة الوطن... حيث دموع الذكريات التي أذاقتنا مرّ الفتن... حيث الرصاص مطر الشتاء... منه الورود ارتوت وبكت جروحها دماءً راجيةً وقف النزيف...

بيروت... من أوقد النار فيك لهيباً في البيوت وفي الشوارع؟ فعلاً هو الدخان... من أظلم سماءك وأعمى العيون التي طالما رأت وروداً، فأصبح الكل يبحث في الدمار عن ظلّ الورود، وعطّر مكانه البارود...

جدّتي... أخبريني ما قد جرى مع جدّي منذ عقود مضت وكأنّها بضع سنين، أخبريني عن ألم الفراق وعن كل فجر حزين... عن ابنك المفقود كيف رحل... أخبريني عن مطر الرصاص وعن حرّ تشرين، عن دموع روت أرض الجنوب وأنبتت شوقاً عميقاً في القلوب والدروب...

افتقدناكم فقد الأحبّة، جدّاه... ما كان اللقاء قريب، ويا ليته كان قريباً! عمّاه... ما هذا الجفاء، يشتاقك قلبٌ حبيبٌ... غائبون نعم، ولكن، حاضرون في قلوبنا وفي قلب كل أمّ وأخت وزوجة فقدت أحبّتها، وذرفت دمعة الغياب الحارقة. لكن ما نفعه حرّ البكاء، وما نفعه ألم النحيب لسؤال دام واحد وثلاثين عاماً: «متى ينسلّ ضوء الفجر من عتمة الليل؟... متى تستيقظ دحانين تشرين؟... متى يغرّد النسيم ألحاناً وكأنّه الموعد؟... موعد لقائكم.»

لكن يبقى السؤال دون جوابٍ ليزداد الشوق شوقاً، وتشرين حرّاً...

من غوى إلى جدّها نايف وعمّها حسن

***

نعيش في زمن المستحيل، في زمن الممنوع. ترعرعنا وولدنا وكلّ شيء حولنا بعبارة مفقود. الأب مفقود والأخ مفقود. عودوا إلينا كي تعود حدائق الأزهار والنجوم والأقمار. عودوا من المجهول كي تعود الابتسامة لوجه أم رسمت الدموع خطوطه وتجاعيده.

في لهفة الغياب والمصير المجهول نسأل الله أولاً ونسأل المسؤولين ثانياً.. سوف نبقى وحدنا نتألم لغياب الأحبّة. ونبقى ننتظر كشف المصير المجهول لأحبّائنا.

من عائلة آل كعوش إلى كلّ المفقودين

والبكي كفكف عيونو ومشي خجلان ... يرمي عَمَوج البحر حمل دمعاتو
كلمــه يــا بيّــي عَصَدى الوِديــان ... مسحة حنان من ريح همســاتو
والحكي يَبّس حروفو وغِفي دِبــلان ... عَكِتف محروم من دفا لمســاتو
وجنينــة طفـل تشكي حبّ وحنــان ... وغصن عريشة يفيّ عنبــاتــو
وليلــة نطـرنــا رجوعــو بـأمــان ... حلّ العتم والنور جفى معناتــو
ولما الشمس خبّرت شــط الزمــان ... إنّو الدني بحر والبيّ موجاتــو
والأســى يـكـوي جــرح لبنــان ... ويهــدي الدار حزن شوكــاتــو
وكل ما غنّى حسون عغصن بــلاّن ... وتخبّى الشتي بوجوه غيماتــو
بدعــي لربّــي ترجِّـع الإنســان ... وإن مضى الدهر ترحم تراباتو

من سمير إلى قريبه حسين

***

بسم الله الرحمن الرحيم

عمّي الحبيب حسين...

أنا رباب ابنة أخيك علي.

أبعث لك بهذه الرسالة نيابةً عن كل العائلة ونرجو أن يصلك سلامنا وتحيّاتنا واشتياق قلوبنا لرؤيتك وعناقك. عمّي الحبيب، أحبّ أن تعلم أنك منذ غاب شخصك عنّا لم يغب لا ذكرك ولا أثرك، فأنت الغائب الحاضر فينا بصبرك. ننعم بطيب ذكرك فينا. يا ليت المجال يسمح بالكلام الكثير، لكني أختصر القول لأقول لك إنّ الجميع بخير ويدعون لفكّ أسرك وينتظرونك والسلام عليكم.

من رباب إلى عمّها حسين

قصيدة غدر الزمان

ظلّلتُ تحت البيلسان
أراقبُ من خفاه الزمان
وإذا بخبر قد لاح في أفق الوجدان
لحقتُه، ولم أجد سوى الأحزان
فيا حرقةً سكنت جوارحي
ولم تكن في الحسبان
فلم أجد سوى الغفوة على وسادة الأحلام
أرسم صورته في مُخيّلتي
فتبقى لوحة من صنع أجمل فتّان
كلّما أتعطّش للقياها
أنتهل من غدير الشوق كلّ الحنان
فتروي بقطرة عطش كلّ ظمآن
نعم إنه جدّي رمز الطهر والعنفوان
وقطعة من ذهب غُزِلت بخيوط الحبّ والامتنان
ولحنٌ من الصبر عُزف على عود الأيّام
اشتقتُ إليك فموعد اللقاء قد حان
أشتهي ضمّة لصدرك الحنون بعد مرّ الزمان
وستبقى رواية يردّد صداها كل إنسان
وليست النهاية بل هي بداية بلا عنوان.

حفيدتك المشتاقة
من خديجة إلى جدّها علي

جدّتي صاحبة القلب الحزين

جدّتي يعزّ عليّ أن أقف أمامك حائراً بما تفعلين...
وصورة عمّي "كامل" المفقود تقبّلين
ماذا يفعل لك ابن السادسة عشر من العمر
وهل يردّ الفرح لقلبك الحزين
عمّي الأمل... من بعيد هذا الأمل الضائع
الذي حفر في قلبك سريرة ودمج حبّك
مع أساريره منذ العام الرابع والثمانين

أيّ يد امتدّت إليك وإلينا لتخطف منّا
أفراحنا وتعلّقنا جميعاً في حبال مكائد الخاطفين
أنا كريم ابن السادسة عشر من العمر لم أرَ عمّي
سوى من خلال أحاديث جدّتي وأبي وأعمامي
المبلّلة بوجع الحبّ وعطش السنين
أعمامي وعمّاتي وأهلي وأخوتي
ينتظرون بفارغ الصبر وليالي القدر
حلم الإفراج عن عمّي وسائر المخطوفين
أناشد الجميع للسّعي الدؤوب لإنهاء الأزمة والحروب
وأن يعمّ السلام والحبّ والوئام بعودة الأهل والمفقودين

من كريم إلى عمّه كامل

خرج من منزله شابّ وها هو اليوم شائب

لم يخرج ذلك الحين لا ليقتل ولا ليحارب

حتى الآن لم يعد والجميع الساعة يراقب

بكت على فراقه عيونٌ كثيرة وقلبُ أمٍّ ذائب

أعيدوا لي بُنَيّ، إنه لا يزال بعمر طالب

ماذا فعل لهم حتّى لذنبه يُخطف ويُعاقب؟

فمسافة شوقٍ لا مسافة فراقٍ تبكيني على وجهه الغائب

هو خالي، أخذوه ربّما بسفينة أو حتّى بقارب

جعلونا نترقّب جواباً يكون هو له كاتب

ولكن بلا جدوى، الساعة جمّدت العقارب

من أسماء إلى خالها عصام

***

اشتقنالك...

من العائلة إلى حسين